قضايا معاصرة

قسم الدراسات الإسلامية

الفصل الدراسي الثاني ١٤٣٩هـ

قضايا معاصرة

قسم الدراسات الإسلامية

الفصل الدراسي الثاني ١٤٣٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد..

فإن لدراسة القضايا المعاصرة أهمية في حياة الطالب العلمية، وخاصة في هذا الزمن الذي تجددت فيه القضايا السابقة وتعددت فيه النوازل بأنواعها من فكرية وفقهية ودعوية وتنموية وغيرها، ولتدريس القضايا المعاصرة في ضوء الثقافة الإسلامية ثمرات إيجابيَّة، من أبرزها؛ ربط الطالب في معرفة مفاهيم وأحكام هذه القضايا بثقافته الشرعية، ومناقشة الشبهات الفكرية المعاصرة التي ربما تصبغ بصبغ مضلل، وإظهار صلاحية الدين الإسلامي لحلّ مشكلات العصر.

ونظراً لهذه الأهمية رأت جامعة الملك سعود تدريس مقررٍ عن «القضايا المعاصرة» يتناول أبرز ما يهم الطالب الجامعي من قضايا سواء أكانت هذه القضايا سابقة ولكن تجدَّد طرحها وأصبحت تشكل محوراً من محاور النقاش في حياة الشباب، أو كانت من النوازل الجديدة التي تحتاج إلى بيان مصطلحاتها وأحكامها الشرعية.

وعلى هذا فإن المقصود بالقضايا المعاصرة في هذا المقرر؛ القضايا التي تدخل تحت هذين المحورين، وليس المقصود بها فقط؛ النوازل الفقهية والتي يوجَّه تدريسها – غالباً – إلى أصحاب التخصصات الشرعية.

ونظرا لكثرة القضايا المعاصرة التي يهم الطالب معرفتها والاطلاع على أحكامها فإنه قد تم اختيار مجموعة من هذه القضايا ودراستها بشكل مبسط يتلاءم مع الطالب غير المتخصص في الدراسات الإسلامية، ويتناسب مع المدة الزمنية لتدريس المقرر،

على أن يتم التجديد المستمر في طرح القضايا المعاصرة حسب الحاجة.

ويتكون هذ المقرر من الوحدات التعليمية الآتية :

- **القسم الأول : قضايا معاصرة متعلقة بالشباب :**
  - الوحدة الأولى : مرحلة الشباب ووسائل حفظها وتوجيهها.
  - الوحدة الثانية : أسباب مشكلات الشباب ، ووسائل معالجتها.
  - الوحدة الثالثة : دراسة لأبرز مشاكل الشباب (التدخين ، والمخدرات).
- **القسم الثاني : قضايا معاصرة متعلقة بالأمن :**
  - الوحدة الرابعة : حقوق الوطن السعودي في ضوء الشريعة الإسلامية.
  - الوحدة الخامسة : حُرْمَة الخروج على الحاكم وقتل الآمنين.
  - الوحدة السادسة : مناقشة لأبرز الشبهات في الفكر المتطرف.
- **القسم الثالث : قضايا معاصرة متعلقة بالثقافة :**
  - الوحدة السابعة : العولمة الثقافية وموقف المسلمين منها.
  - الوحدة الثامنة : الإلحاد المعاصر ، ووسائل مواجهته.
  - الوحدة التاسعة : أحكام الفتوى والاستفتاء وآدابهما وتطبيقاتهما المعاصرة.
- **القسم الرابع : قضايا معاصرة متعلقة بالدعوة والتطوع :**
  - الوحدة العاشرة : الأقليات الإسلامية ، وواجبات الدول والمجتمعات الإسلامية نحوها.
  - الوحدة الحادية عشرة : وسائل الدعوة في الخارج ، وجهود المملكة فيها.
  - الوحدة الثانية عشرة : التطوع ، ومجالاته في المملكة.

نسأل الله أن يجزي خيرا من قام بتأليفه وتعليمه ، وأن ينفع به ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القسم الأول

قضايا معاصرة متعلقة بالشباب

الوحدة الأولى

مرحلة الشباب ووسائل حِفْظِها وتوجيهها

أخي الطالب/أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – الإلمام بمرحلة الشباب وأهميتها.

٢ – بيان الوسائل الشرعية العامة لحفظ الشباب.

٣ – إيضاح الخصائص العامة لمرحلة الشباب، والطرائق السليمة في توجيهها.

تمهيد

في بيان مفهوم مرحلة الشباب

الشباب في اللغة: يدلُّ على معان القوة والنماء والتوهج والحيوية، ومن ذلك يقال للنار: شبَّت، إذا ارتفعت وتوهَّجت وزادت حرارتها[1].

ولم ترد لفظة «الشباب» في القرآن الكريم وإنما جاء مرادفها، وهو «الفتوة» ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: ٦٠) والفتاء في اللغة الشباب[2]، أما السُّنَّة النبوية فقد ورد فيها لفظ «الشباب» في غير موضع، منها: قوله ﷺ: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله)[3].

وقد اختُلف في تحديد مفهوم مرحلة الشباب، غير أن المتفق عليه أنها: مرحلة تتميز بالحيوية والقوة والنشاط تعقب مرحلة الصبى، وتنمو فيها قوى الإنسان حتى تكمل عند سِنِّ الرجولة[4].

***

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة «شب».

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة «شبب».

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة..، رقم الحديث (٦٦٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، رقم الحديث (١٠٣١).

(٤) انظر في بيان مفهوم الشباب: الكليات، للكفوي (٦٩٦/١)، ومعجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، ص (٢٥٥).

أبرز أسباب السلامة في مرحلة الشباب

من أهم الأسباب العامة التي يمكن الأخذ بها في توجيه الشباب للعبور بهم إلى بَرِّ السلامة والنجاة ومن ثَمَّ تحقيق النجاح في الحياة؛ الوسائل الآتية:

أولاً: الحذر من خطوات الشيطان:

أكثر القرآن الكريم من تحذير المؤمنين من إتباع خطوات الشيطان، وبين لهم عداوته المتأصلة لبني آدم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (البقرة: ٢٠٨). والمقصود بخطوات الشيطان: مسالكه وطرقه المفضية بالعبد إلى تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم، ويدخل فيها أيضا خطوات شياطين الإنس فمنهم من هو أشد فتكاً، وأبلغ نكاية من شياطين الجن[1].

ومن مسالك الشيطان التي يستدرج بها المسلمين، وينبغي الحذر منها؛ تسمية المعاصي بغير اسمها، فقد سَمَّى الشيطان الشجرة الخبيثة التي نهى الله عنها «شجرة الخلد» يقول تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ (طه: ١٢٠)، وفي عصرنا الحاضر أخذ دعاة الفتن بهذه الوسيلة، فتراهم يغررون الشباب والفتيات بالمحرمات بعد تغيير مسمياتها، فيسمُّون الانحلال من القيم «حرية»، ويسمُّون التشبُّه بالجنس الآخر «موضة»، إلى غير ذلك مما يلبسون فيه الحق بالباطل، ومن ثَمَّ كان على الشاب المسلم والفتاة المسلمة الحذر من هذه المسالك والتحذير منها.

---

(١) انظر: تفسير: أيسر التفاسير، للجزائري (١/١٤٤)، وأوضح التفاسير، لمحمد محمد الخطيب (١/٣٠).

ثانياً: طلب العلم المفيد وتحصيل الثقافة النافعة:

الجهل أخطر ما يميت الشباب، فبسببه يهلكون، ويغرُّهم المغررون، وينال منهم الأفَّاكون، لأن المعرفة الصحيحة إذا فقدت أصبح الشباب بعدها صيداً سهلاً ينال منهم كل صاحب شِباك، ومن ثم كان على الشباب والفتيات التسلح بالعلم؛ ليكون زادهم في مواجهة من يريد النيل منهم، وقد كان الرسول ﷺ يحثُّ الأُمَّة على طلب العلم اللازم لسلامة المعتقد والعبادة، مبيننا وجوب طلبه عليهم، قال ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[1].

ثالثاً: توجيه الطاقات فيما ينفع:

ترتبط هذه الوسيلة ارتباطا وثيقا بما قبلها؛ لأن نتيجة العلم النافع تظهر في توظيفه فيما يحقق المصالح ويبلغ المقاصد، ولذا يجب على طُلَّاب العلم المؤهلين أن يوجهوا طاقاتهم العلمية وعزائمهم الفتيَّة توجيهاً سليماً فيما ينفع مجتمعاتهم وأوطانهم.

وقد كان الرسول الله ﷺ شديد العناية بتوظيف طاقات الشباب فيما ينفع أمتهم، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال: (إني والله ما آمن يهود على كتاب) قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم»[2] وزيد بن ثابت رضي الله عنه من شباب الصحابة، فقد قدم النبي ﷺ

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب السُّنَّة، باب: فضل العلماء، والحث على طلب العلم، رقم الحديث (٢٢٤). وقال الألباني: «صحيح»، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (١/٢٩٦).

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في تعليم السريانية، رقم الحديث=

المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة[1].

رابعاً: الاعتزاز بالدين والقِيَم النبيلة:

على الشباب المسلم أن يكون فخوراً بدينه، معتزاً بقِيَمه، غير مفتون بما عليه غير المسلمين مما يخالف شريعته، وأن يدرك مكانه الصحيح في الحياة، فهو قدوة في العالمين، وحامل راية الحق إلى الخلق، يقول تعالى في عن صفات عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٤). «أي: أوصلنا يا ربنا إلى الدرجة العالية..، وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم، يقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون»[2].

خامساً: أخذ النفس بنصيب من التزكية:

فعلى كل شاب مسلم وفتاة مسلمة أن يجعل لنفسه نصيباً من مجاهدة النفس، ليربيها على التقوى والتزام العمل الصالح؛ ويكون ذلك بالمداومة على ما تيسَّر من نوافل العبادات كالسُنن الرواتب، وقيام الليل، وصيام الأيام الفاضلة، وقراءة القرآن، وقراءة الأوراد اليومية، والإكثار من الذكر والدعاء، فهذا هو زاد الشاب للثبات على طريق الاستقامة، قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ (البقرة: ٤٥).

***

=(٢٧١٥). وقال: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/١٣٢٠).

(١) انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (٣/٣٩٩).

(٢) تفسير تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٥٨٧).

خصائص مرحلة الشباب وطرائق توجيهها

تُعد مرحلة الشباب مرحلة متوسطة بين المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته، ولها من السمات والخصائص ما يميزها عن غيرها، وفيما يأتي سوف نُسلِّط الضوء على بعض من هذه الخصائص والطرائق السليمة في توجيهها:

أولاً: استواء القوة الجسدية:

مرحلة الشباب هي المرحلة التي يمتلئ فيها الإنسان قوة وصلابة، حيث تقع بين مرحلتين تتسمان بالضعف والوهن، يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤)

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير الآية: «ابتدأ خلق الآدميين من ضَعْفٍ وهو الأطوار الأول من خلقه من نطفة إلى علقة إلى مُضْغَةٍ إلى أن صار حيوانا في الأرحام إلى أن وُلِد، وهو في سِنِّ الطفولية، وهو إذ ذاك في غاية الضَّعْف وعدم القوة والقدرة. ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئاً فشيئاً حتى بلغ سِنَّ الشباب واستوت قوَّته وكَمُلَت قُوَاه الظاهرة والباطنة، ثم انتقل من هذا الطَّور ورجع إلى الضَّعف والشَّيبة والهرَم»[1].

وإذا كان الشباب هم مظنَّة القوة والطاقة؛ فإن الواجب عليهم أن يوجهوا ذلك إلى الخير والنفع والعبادة؛ فينتفعون بقدراتهم وتستفيد الأمم وتستقيم الحياة، وكل ذلك داخل في عبادة الله وطاعته وشكره على نعمه متى كان موافقاً للشرع مقروناً بالنية الصالحة، فالنية تجعل العادة عبادة، قال القرطبي رحمه الله: «النيات الصادقات تَقلُب

(١) انظر: المرجع السابق (٦٤٤/١).

المباحات إلى الطاعات»[1].

وقد عرض القرآن الكريم كثيرا من نماذج القدوة؛ لشباب تحملوا الصعاب في سبيل الدعوة، منها: قصة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حينما حطَّم الأصنام التي كان يعبدها قومه، وكان إذ ذاك شاباً فتياً، قال تعالى: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: ٥٩ – ٦٠).

(يقترح استعراض قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وتأمل الآيات وتفسيرها من سورة الأنبياء، «الآيات: ٥١ – ٧٣»).

ثانياً: تنوع الانفعالات النفسية:

فللشباب خصائصهم النفسية والوجدانية المتميزة، التي تتحكم إلى قدر كبير في توجيه اتجاهاتهم وسلوكياتهم.

ومن أهم ملامح الشخصية في هذه المرحلة ما يأتي:

- الاهتمام الشديد بالذات: حيث تتمركز انفعالات الشباب حول ذواتهم، مما يجعلهم أكثر اهتماماً بمكانتهم الاجتماعية، وأكثر عناية بأنفسهم؛ ويتجلَّى ذلك في سعيهم للتحلي بالصفات التي تجذب انتباه الآخرين.

- التفاعل الشديد مع القناعات الشخصية، فالمراهقون لا يكترثون غالباً بآراء الناصحين وإن كانوا أكثر منهم علماً وقدراً، وهذا يجعلهم أكثر اندفاعاً وتفاعلاً مع القضايا التي يتبنونها، وقد يصل تفاعلهم مع القضايا في بعض الأحيان إلى مرحلة التهور.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٢٢/٣).

- الإحساس المُرهّف والتحرُّز من الآخرين، فمن سمات مرحلة المراهقة أنها تكسب الشباب إحساسا مرهفا تجاه الآخرين، لاسيما الذين تتضارب مواقفهم معهم، حيث يرونهم غير متفهمين لمشاكلهم الشخصية [1].

وهذا يبيِّن للشباب مدى خطورة هذه المرحلة، مما يوجب عليهم الاحتياط والوعي، وضرورة الأخذ بكل ما يجنبهم الضياع والفشل.

ومن أهم النصائح التي يمكن توجيهها للشباب في هذه المرحلة ما يأتي:

- الإدراك التام لطبيعة الإنسان ومهمته في الحياة، فالإنسان مخلوق مُكرَّم، لكنه صاحب أمانة عظمى؛ كلَّفه الله بأدائها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢)، فإدراك ذلك يخرج بالشباب عن دائرة العناية بالذات وحدها، إلى دائرة العناية بالحياة كلها، ومما يحفِّز ذلك عندهم ميلهم الطبيعي لتوسيع العلاقات الاجتماعية والنشاطات الجماعية.

- عدم السير وراء القناعات الفردية وضرورة وزنها بميزاني الشرع والخبرة، فالاندفاع وراء الآراء الشخصية التي تتكون لدى بعض الشباب من خلال مطالعة الأخبار الزائفة أو الرسائل الموجهة، مع قلة خبرتهم بما يحيط بهم؛ يوقعهم فريسة للتطرف، ومن ثم يجب عليهم أن يختبروا آراءهم وأن يمتحنوا قناعاتهم بعرضها على أهل العلم والخبرة ليبيّنوا لهم حقيقة ما هم عليه.

- تصحيح النظرة إلى الناصحين من أهل الخبرة والتقوى، فقد غرس الله في

(١) انظر: التعامل مع المراهقين من خلال خصائص النمو، لعبد اللطيف بن يوسف المقرن، ص (٢٠ – ٢٢).

قلوب هؤلاء الحُبَّ والرأفة تجاه أبنائهم من الشباب، فما بذلوه من نصح فهو لإرادة الخير بهم، ومن ثم يجب على الشباب طاعتهم وقبول توجيهاتهم.

ثالثاً: شِدَّة الرغبة الجنسية:

مرحلة الشباب هي المرحلة التي يصل فيها الإنسان إلى ذروة طاقته الجنسية والعاطفية؛ بينما لا يزال نموه العقلي والفكري والوجداني في منتصف الطريق؛ ولذا يخشى على الشباب والفتيات منها، فقد تُرْدِي في هاوية الفواحش والرذائل، والسقوط في أحضان الفساد والانحلال[1].

وثوران الطاقة الجنسية عند الشاب مشكلة حقيقة لا ينبغي الإقلال منها، غير أن الواجب تجاهها هو الأخذ بتعاليم الإسلام وآدابه التي شرعها لحلها والتغلب عليها. ففي عهد النبي ﷺ أتى شاب إليه يطلب منه الإذن له في الزِّنا، فقال: «يا رسول الله، ائذن لي بالزِّنا، فأقبل القوم عليه، فقال ﷺ: أُدنه، فدنا منه قريباً، فقال: اجلس، فجلس، فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله، يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا، والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا، والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا، والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، فوضع رسول الله ﷺ يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فَرْجَه، فلم يلتفت

(١) انظر: التعامل مع المراهقين من خلال خصائص النمو، لعبد اللطيف بن يوسف المقرن، ص (٢٠ — ٢٢).

الفتى بعد ذلك إلى شيء»[1].

وفي هذه القصة فوائد غزيرة منها ما يأتي:

- أن هذا الشاب قصد رسول الله ﷺ وعرض عليه مشكلته، وأن رسول الله ﷺ رحَّب به وضَمَّه إليه.

ويستفاد من ذلك؛ أن الواجب على الشباب والفتيات عند ظهور هذه المشكلة أن يتوجهوا إلى أهل الدراية والصلاح والأمانة ممن يرجى منهم النفع والنصح، وأن يحذروا من عرض ذلك على أصحاب الأهواء والشهوات الذين لا يتورعون عن توجيههم لقضاء وطرهم فيما حرَّم الله؛ فيغرونهم بفعل الفاحشة، ويزينون لهم له متعتها، ويسوفون لهم أمر التوبة من المعاصي وأن أمامهم سنوات طويلة يعودوا فيها إلى رشدهم ويتوبوا إلى ربهم، ولا يعلم هذا الشاب أن الأعمار بيد الله، فكم شاب صحيح مات من غير علة، بل وكم شاب هلك وهو يمارس المعاصي والفجور، نسأل الله السلامة وحسن الختام.

- أن الرسول ﷺ تَرَك الشاب ليعبِّر عن مشكلته التي عانى منها، وهي ثوران الشهوة، حتى إنه أبدى رغبته في إشباعها بما عهده في المجتمع الجاهلي من الوسائل المحرَّمة.

وفي ذلك توجيه للشباب بأن لا يخجل من بيان المشكلة التي تواجهه ولو كانت مشكلة خاصة، وأن يوضحها لمن يستشيره طالباً نصحه وإرشاده.

- أن رسول الله ﷺ حاور الشاب الراغب في الزِّنا مبيناً حُرْمَته وأنه لا يرضى

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٦/٥٤٥)، رقم الحديث (٢٢٢١١). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٧١٢).

به من أحد على أهله، وأن الآخرين لا يرضون به على أهلهم أيضا.

ويستفاد من ذلك أنه يجب على الشباب استحضار حُرْمَة الزِّنا، والغيرة على المحارم، ففي استحضارهما دافع قوي إلى كبح جماح النفوس والتغلب على شهواتها، وهذا ملمح مهم خاصة في زماننا، وحُرْمَة الزِّنا ثابتة شرعاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢) والغيرة الحميدة موجودة — ولله الحمد والمنَّة — في مجتمعنا وهي تحتاج إلى شيء من التشجيع والتوجيه وخاصة للشباب.

- أن رسول الله ﷺ دعا للشاب فوضع يده عليه، وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحَصِّن فَرْجَه).

وفي ذلك إرشاد إلى أهمية الدعاء في علاج الشهوة، وهذا الطريق هو الأنفع لمن كان في مثل حال هذا الشاب من غير القادرين على الزواج، إذ لو كان الشاب قادراً على الزواج لأرشده ﷺ إليه.

رابعاً: نمو الطاقة الفكرية:

تتميز مرحلة الشباب بالتوقد الذهني وسرعة البديهة، ونمو القدرة على الحفظ، والبحث والتحليل، ولذا كانت من أكثر الأوقات مناسبة للتعليم والتحصيل، واكتساب المعارف والخبرات[1].

وقد حثَّ الإسلام على التفكير والتأمل في الآيات الكونية وعدَّ ذلك من أفضل العبادات، وذلك لأنها من الطرق الموصلة إلى معرفة الله تعالى[2]، غير أن الواجب على الشباب والفتيات وهو منطلقون في ساحة التحصيل والتفكير أن يحذروا من آفة

(١) انظر: التعامل مع المراهقين من خلال خصائص النمو، لعبد اللطيف المقرن، ص (١٣).

(٢) انظر: تطريز رياض الصالحين، للشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك، ص (٨١).

الغلو في أي جانب من جوانب التفكير.

والغُلُوّ: هو مجاوزة حدود ما شرع الله، سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل[1].

وينشأ الغُلُوّ – غالباً – عن التفسير الخاطئ لأدلة الشرع بقطعها عن روحها ومقاصدها، أو تتبع المتشابهات، أو إنزال النصوص على غير مواقعها، أو مجانبة المنهج الصحيح للاستنباط.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «ربما جمحت النفس إلى طلب ما لا يطلب منها فوقعت في ظُلْمةٍ لا انفكاك لها منها... ومن طِماح النفوس إلى ما لم تُكلف به نشأت الفِرَق كلها أو أكثرها»[2].

وهذا يستوجب على الشباب والفتيات أن يتعلموا ثقافة الرجوع إلى أهل الرأي والمشورة طلبا للهداية، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤٣) ففي هذه الآية أمر الله سبحانه من لا علم له أن يسأل من هو أعلم منه، وقد قال النبي ﷺ: (ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العِيّ السؤال)[3].

* * *

(١) حقوق النبي ﷺ على أمته، د. محمد التميمي (٦٤٣/٢).

(٢) الموافقات (١٤٣/٢).

(٣) رواه ابو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب: في المجروح يتيمم، رقم الحديث (٣٣٦). وحسنه الألباني في صحيح سن أبي داود (١٦١/٢).

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر إلى:

١ – مشكلات المراهقة والشباب، للدكتور: فيصل الزراد.

٢ – مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها، للدكتور: وليد شلاش.

***

الوحدة الثانية

أسباب مشكلات الشباب، ووسائل معالجتها

أخي الطالب/أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على:

١ – التعريف بأهم الأسباب التي تؤدي إلى مشكلات الشباب.

٢ – إيضاح موقف الإسلام من هذه الأسباب ومنهجه للتغلب عليها.

٣ – استشعار الحاجة في الرجوع إلى أهل العلم والمتخصصين لاستشارتهم والاستفادة من علمهم وخبراتهم.

تمهيد:

بالرغم مما توفر للشباب في هذا العصر من أسباب الرفاهية وأدوات الحضارة؛ غير أنه ما زال يعاني من بعض المشكلات الثقافية والفكرية والسلوكية التي تضخمت بفعل تطور الحياة، وتقارب المجتمعات، وسهولة التواصل مع الآخرين.

ولعل الوقوف على سائر هذه المشكلات ومناقشتها يعد من الصعوبة بمكان؛ وذلك لأن هذه المشكلات تتنوع بتنوع الأشخاص والمجتمعات، ومِنْ ثَمَّ سوف نقتصر في هذا الموضوع على ذكر أهم الأسباب التي تنتجها، وذلك من أجل تبيينها، وتوضيح منهج الإسلام في حلها، فمما لا شك فيه أن معالجة السبب خير وسيلة لتفادي ما يترتب عليه.

ومن أهم الأسباب التي تسهم إلى حد كبير في معاناة الشباب في العصر الحاضر: الفراغ، والرفقة السيئة، وضعف الوازع الديني، والتعصب لمذهب أو لرأي معين، والتسرع في قبول الأخبار والادعاءات ونشرها.

أولاً: الفراغ:

وقت الفراغ هو: الوقت الحُرِّ الذي لا يُقضى في العبادة الواجبة أو تدبير أمور المعيشة الأساسية [1].

ومِنْ ثَمَّ لا يكون الإنسان فارغاً إلا إذا حصَّل كفايته من متطلبات الحياة وواجباتها، فمن لم يكن كذلك لا يكون فارغاً بل يكون مقصراً فيما هو واجب عليه [2].

---

(١) انظر في التعريف: التوجيه والإرشاد النفسي، د. حامد عبد السلام زهران، ص (٣٨٧).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (١١/ ٢٣٠).

وانطلاقا من هذا التعريف نحذر الشباب المنشغلين بطلب العلم وبناء المستقبل، من عدِّ أنفسهم بين أصحاب الفراغ، لأن عليهم من المهام ما تضيق به الأوقات؛ لاسيما في هذا الزمن الذي اتسعت فيه المسؤوليات وتعددت فيه الشواغل.

كما ننبهم إلى أنهم إن قاموا بواجباتهم وتَوفَّر لديهم شيء من الفراغ فلا بأس؛ لكن ليعلموا أن فراغهم نعمة خصَّهم الله بها، فقد قال رسول الله ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)[1]، فقد دلَّ الحديث على أن الصحة والفراغ نعمتان عظيمتان إن لم يستعملها الإنسان فيما ينبغي غبن فيها: أي باعها بثمن بخس[2].

وإذا ثبت أن الفراغ نعمة كان من الواجب على من أنعم الله عليه به أن يشكر الله عليه، وأن يستثمره فيما يرضيه، وإلا سيندم عليه حيث لا ينفعه الندم[3]، قال رسول الله ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسْأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[4].

وليس المقصود بملء الفراغ بالطاعة أن يظل الشخص في عمل دائم لا ينقطع أو أن يكون في عبادة مستمرة؛ بل المراد أن يختار لنفسه من المستحبات والمباحات ما يملأ به فراغه، ولو كان من أوجه الاسترواح التي يوسِّع بها على نفسه حتى لا تكَلّ ولا تَعْجَز، قال ابن الجوزي رحمه الله: «إن من الغفلة لنعمة عظيمة، إلا أنها إذا زادت

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم الحديث (٦٤١٢).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (١١/٢٣٠).

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/١٤٧) بتصرف.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب أبواب صفة القيامة، باب: في القيامة، رقم الحديث (٢٤١٧) وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/٤١٧).

أفسدت، إنما ينبغي أن تكون بمقدار ما يعدل»[1].

ومن هنا يتبين أن الفراغ غير مذموم في ذاته، وإنما المذموم ملؤه بما لا يرضي الله ﷻ، أو أن يُشغِل الشاب عن تحقيق أهدافه المشروعة، أو يفسد عليه أخلاقه وقيمه، فحينئذ يكون الفراغ سبب لضياع المنافع وإحداث الشرور، لاسيما إذا اجتمع إليه اندفاع الشباب وقوته وقلة خبرته.

ثانياً: الرُّفْقَةُ السيئة:

يقول علماء الاجتماع: إن الإنسان اجتماعي بطبعه، أي مفطور على العيش في ظل جماعة فهو لا يستغنى عن غيره، وهم في حاجة إليه، كما يؤكد علماء الاجتماع أيضاً على أن الحياة الإنسانية لا تكون سوية مستقيمة إلا في ظل تفاعل اجتماعي يعزز أواصر المحبة والأخوة، ويمد جسور التعاون على جميع المستويات، وكلما طالت فترة التعامل نمت هذه المعاني وتوثقت غير أنها تَحْسُن وتسوء حسب ظروف العيش ومستوى التعامل[2].

وهذا الذي ذكره علماء الاجتماع يبين لنا أهمية الرُّفْقَة في حياة الإنسان، وأنها حاجة إنسانية متأصلة في نفسه.

وتبرز أهمية الرُّفْقَة في أنها ذات تأثير كبير في شخصية الفرد؛ حتى إنه يصلح بصلاحها ويفسد بفسادها، ولهذا أوصى النبي ﷺ بضرورة التدقيق في اختيار الرفيق، فقال: (مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير،

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٤/٢٣٠).

(٢) انظر: صلاحية التشريع الإسلامي للبشر كافة، د. عبد الله بن محمد العجلان، مجلة البحوث الإسلامية (٩/٢٦٤).

فحامل المسك، إما أن يُحذيَك[1]، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)[2]، ففي الحديث حثٌ على التدقيق في اختيار الصديق، ونهي عن مجالسة من يُتأذى بمجالسته في الدين أو الدنيا، والترغيب في مجالسة من يُنتفع بمجالسته فيهما[3].

وهذا الحديث الشريف قسم الرُّفقاء إلى قسمين:

رفقاء الخير: ومِنْ أجمع صفاتهم: الإيمان والتقوى وحسن الخلق، قال رسول الله ﷺ: (لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي)[4]، وقال: (إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً)[5].

ورفقاء السوء: ومن صفاتهم؛ النفاق بآياته المعروفة، قال رسول الله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)[6].

ومن هذا التقسيم يتبين لنا أن الرفقة إن كانت صالحة فهي محمودة وسيجني منها

---

(١) أي: يعطيك. انظر: الكاشف عن حقائق السنن، والمشتهر بشرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٣٢٠١/١٠).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب: المسك، رقم الحديث (٥٥٣٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم الحديث (٢٦٢٨).

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (٣٢٤/٤).

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الزهد، باب: ما جاء في صحبة المؤمن، رقم الحديث (٢٣٩٥)، وقال: «هذا حديث حسن»، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٩٥/٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الآداب، باب: حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، رقم الحديث (٦٠٣٥).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم الحديث (٣٣).

الشاب خيراً كثيراً، وإن كانت الرُّفقة سيئة فهي مذمومة وسيحصل على الشاب منها شر كبير، فرفقاء السوء هم الذين يؤثرون سلباً في ثقافة من يرافقهم وتوجهاته.

ومن ثمَّ يجب على الشاب الحذر من رفقاء السوء فإن في صحبتهم من المفاسد الدنيوية والأخروية ما لا يخفى، ففي الآخرة يحشر الإنسان مع من أحب؛ فعن أنس بن مالك ﷺ: (أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها، قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أُحبُّ الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت)[1].

فليتأمل الشاب فيمن يصادق ويخالل، فمن رضي دينه وخلقه؛ صادقه، ومن ليس كذلك اجتنبه؛ لأن الطباع سرَّاقة والصحبة مؤثرة في الإصلاح والإفساد[2].

وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم... ولا تصحب الأردى فتردى مع الرّدي

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه..... فكلّ قرين بالمقارن يقتدي[3].

ثالثاً: ضَعْفُ الوازع الديني:

الإنسان يميل إلى الدين ميلا قويا نابعا من دوافعه الطبيعية لأنه متدين بفطرته، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ﴾ (الروم: ٣٠)، فقد دلَّت الآية على أنه الله تعالى وضع في عقول الناس استحسان الشريعة وفي قلوبهم الميل إليها، وجعلهم محبون للخير كارهون للشر، فمن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: علامة حب الله ﷻ، رقم الحديث (٦١٧١).

(٢) انظر: تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي، للمباركفوري (٤٢/٧).

(٣) انظر: العقد الفريد، لابن عبد ربه (١٧٩/٢).

خرج عن هذا الأصل فإنما يكون لعارض عرض لفطرته فأفسدها[1] كما قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفِطْرَة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه)[2].

وللدين أثر كبير في حياة الإنسان إذا يُمثِّل الوازع الأقوى لاجتناب المعاصي والذنوب، ففي رحابه يستحضر الإنسان عظمة الله، واطلاعه، وقدرته، ومحاسبته، إلى غير ذلك من الصفات التي تحمله على تحويل الأحكام الشرعية إلى واقع عملي يكسوه الإحسان ظاهراً وباطناً، وتزول منه مظاهر الشرك والمعصية، فالتديُّن يقوِّي مانعية الإنسان ضد الشر، والعكس صحيح، فعندما يضعف الوازع الديني تقل مناعة الإنسان ضد المعاصي والذنوب، فيتلبس بكثير من أنواعها بما لها من شؤم على حياة الإنسان والمجتمع، يقول: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثية:٢١) فالمؤمنون العاملون للصالحات لهم النصر والسعادة في العاجل والآجل، كلٌ على قدر إحسانه، والمسيئون لهم الغضب والشقاء في الدنيا والآخرة[3].

ولعلاج ضَعْف الوازع الديني أسباب متعددة؛ منها:

١ – مجالسة الصالحين، فالأخلاق عموما تنتقل إلى المجالس بطول الصحبة، وكما أن خلائق السفهاء تعدي فإن خلائق الصالحين تجدي، فمجالستهم تدعوك من سِتٍ

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٦٤٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم الحديث (١٣٥٨).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (١/٧٧٧). بتصرف يسير.

إلى سِتٍ: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذِّكْر، ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ومن الكِبْر إلى التواضع، ومن سوء الطوية إلى النصيحة[1].

٢ – الدعاء، بأن يسأل المسلم ربه التوفيق لعمل الصالحات واجتناب الموبقات، والله قريب مجيب للدعوات.

٣ – التقرب إلى الله بالنوافل، فإنها من أسباب محبة الله للعبد وعونه له، قال رسول الله ﷺ: (ما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه، فإذا أحببته: كنت سَمْعَه الذي يسمع به، وبَصَره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)[2].

٤ – الصبر، ويكون على الطاعات بالمداومة عليها، وعلى المعاصي بالكف عنها، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

رابعاً: التَّسرُّع في قبول الأخبار والادعاءات ونشرها:

للإسلام منهج بديع في توثيق الأخبار والادعاءات، يقوم على قاعدة معروفة عند علماء البحث والمناظرة، هي قاعدة «إذا كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل»[3].

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٣/٣٢٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: التواضع (٦٥٠٢).

(٣) انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، لعبدالرحمن الميداني، ص (٣٦٦).

وذلك أن القول المنقول إما أن يكون حكاية لأمر وقع في الماضي أو إبداء لرأي في أمر حاصل أو ادعاء أنه قد حصل، والأول يسمى خبر، والثاني يسمى ادِّعاء.

ومن مقتضيات هذه القاعدة ما يأتي:

١ – يجب على المسلم إن كان ثَمَّة خبر منقول إليه أو كان هو بصدد نقله أن يستوثق من صِدْق ناقله إليه قبل حكايته أو قبوله، وهذا معنى قولهم: «إن كنت ناقلاً فالصحة».

وهذا مما نبَّه القرآن الكريم على التزامه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦) ففي هذه الآية بيان لأدب من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجرداً، فإن في ذلك خطراً كبيراً، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبُّت والتبيُّن، فإن دلت الدلائل والقرائن على صِدْقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب، مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه[1].

وقد تفرَّد المسلمون بوضع علم مختص في بيان كيفية تمحيص الأخبار وتنقيتها وبيان قواعد قبولها وردها، وهو علم **الحديث** فهو «علم يبحث فيه عن سُنَّة النبي

(١) انظر: تفسير: تيسير الكريم الرحمن، ص (٧٩٩).

ﷺ إسناداً، ومتناً، لفظاً، ومعنى، من حيث القبول والرد، وما يتبع ذلك من كيفية تحمل»، «وفائدته: معرفة ما يقبل من ذلك ليعمل به، وما يرد ليجتنب»[1]، وقد كان لهذا العلم أثر في ثقافة المسلمين عامة، وفي حضارتهم ومجدهم؛ حيث كان المسلم لا يقبل خبراً إلا إذا ثبت لديه صِدْق ناقله.

٢ – يجب على المسلم إن كان لديه قول في قضية ما أن يقيم الدليل على قوله، كما ينبغي على سامعه ألا يقبل منك ذلك القول إلا بدليله، وهذا هو المقصود من قولهم «وإن كنت مدعياً فالدليل».

وقد أرشد القرآن الكريم إلى مضمون هذه القاعدة في نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (النمل: ٦٤)، وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٤).

ففي هذين النصين عرض القرآن الكريم الأدلة على ما جاء به النبي ﷺ من أمر التوحيد، كما أنه أمر الرسول ﷺ بأن يطالب المشركين بتقديم برهانهم على ما يدعون من كذب ما جاء به واستحقاق غير الله للعبادة، وفي ذلك بيان لمنهج الإسلام في الادعاء أو قبول الادعاء، وأنه لا يُدَّعى أمر إلا مشفوعاً بدليله، وأنه لا يقبل ادعاء إلا إذا كان مقروناً ببراهينه، وهذا ما جلَّاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ

(١) النكت الوفية بما في شرح الألفية، لبرهان الدين البقاعي (١/٦٣).

صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١)[1].

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «كل من ادَّعى دعوى، لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادَّعى مُدَّع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان، علم كذبهم بتلك الدعوى»[2].

ولعل غياب هذه القاعدة عن المكون الثقافي عند شباب المسلمين في الزمن الحاضر قد تسبب في كثير من الإشكاليات التي يعاني منها المجتمع المسلم حالياً، حيث كثر انفعال الشباب بالمقولات ذات الأصوات المرتفعة وإن كانت تفتقر إلى الدليل، فاقتناعهم بها لمجرد علو صوتها، وإن كانت عن عرضها على قواعد العلم تبدوا من الضحالة بمكان، مما يؤكد أن تفاعل الشباب المسلم معها كان بعيداً عن منهج الإسلام في قبول الادعاءات.

ومما سبق يتبيّن لنا ضرورة حرص الشباب على اتباع منهج الإسلام في قبول الأخبار والادعاءات حتي يجنبوا أنفسهم وأوطانهم كثيراً من الشرور التي تحاك بهم.

***

(١) انظر: الحضارة الإسلامية، لعبد الرحمن الميداني، ص (٣٦٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٦٢).

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر إلى:

١ – مشكلات المراهقة والشباب للدكتور: فيصل الزراد.

٢ – مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها، للدكتور: وليد شلاش.

***

الوحدة الثالثة

دراسة لأبرز مشاكل الشباب (التدخين والمخدرات)

أخي الطالب/أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – بيان أضرار التدخين والمخدرات.

٢ – الإلمام بحكم تعاطي الدخان والمخدرات في الشريعة.

٣ – تقديم النصح لما ابتلي بتعاطي هذه المحرمات بما يعنيه على الإقلاع منها والتعافي من آثارها.

مشكلة التدخين

تعد مشكلة التدخين من أكثر المشكلات شيوعاً في أوساط الشباب، وأكثرها إضراراً بهم، بناءً على ما أثبته الأطباء من أضراره العظيمة، التي تكمن في داخل الجسم أولاً ثم تظهر فيه تدريجياً.

ومن أضرار التدخين التي يتفق عليها الأطباء ما يأتي:

١ – الإصابة بعسر الهضم، فعندما تدخل مادة «النيكوتين» السّامّة إلى الفم تهيج الغشاء المخاطي تهيجاً قوياً، وتُسيل كمية زائدة من اللُّعاب، وتغيِّر تركيبته الكيماوية بحيث تقلل فعله في هضم الطعام، كما أنها تؤثر في مفرز المعدة مما يكون سبباً مباشراً لحدوث أعراض عُسْر الهضم.

٢ – الإصابة بأمراض الصدر، حيث يتسبب الدخان في تعطيل الشرايين الصدرية، والضغط على فتحات القلب، واختلال الإفرازات الحلقية.

٣ – تخريب كريَّات الدم، وما يتبع ذلك من آثار خطيرة على الدورة الدموية في جسم الإنسان، وانحطاط القوة العصبية عامة، ويظهر هذا بالخدور والدوار الذي يحدث عقب استعماله لمن لم يألفه.

٤ – تأثيره على صحة القلب، ومن ذلك تشويش انتظام ضرباته[1].

وبناء على ما سبق ذكره من أضرار؛ أفتى علماء المسلمين بحرمة بيع الدخان وتعاطيه، وصدرت بذلك الفتاوى من كبرى الهيئات الفقهية في العالم الإسلامي،

---

(١) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/٨٤)، وموقع جمعية نقاء لمكافحة التدخين الالكتروني.

ومنها؛ اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة؛ حيث أفتت بأن شُرْبَ الدخان والتبغ حرام على أي كيفية، وأن الواجب تَرْكه، والحذر منه، وجهاد النفس في ذلك[1].

وهذا ما صرَّح به كبار العلماء في بلادنا حماها الله[2]. يقول فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «الدُّخان محرَّم، ولا شك في أنه محرَّم؛ لما فيه من المضرة العظيمة، فينبغي للمؤمن أن يحذر ذلك»[3].

وما ذكره علماؤنا هو ما يتفق مع ما يذكره سائر علماء الأمة في مجتمعاتنا الإسلامية[4].

ومما يستدل به على حُرْمة التدخين ما يأتي:

١ – أن التدخين يؤدي إلى الإضرار بالأنفس والأبدان، والإضرار بهما حرام لتعلق حق الله بها، فيحرم بذلك كل ما أدى إليه، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، قال العلماء: الإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين: تَرْك ما أمر به العبد، إذا كان تركه موجبا أو مقاربا لهلاك البدن أو الروح، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح، فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة، ومن ذلك تغرير الإنسان بنفسه بأن يتعاطى شيئاً فيه خطر، فهذا ونحوه، ممن ألقى بيده إلى التهلكة[5].

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١)، (٢٢/١٨٦).

(٢) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/٧٨)، فقد فصل في حكمه تفصيلا بديعا وذكر جملة مطولة ممن أفتوا بحرمته من علماء المملكة وغيرهم.

(٣) انظر: فتاوى نور على الدرب، للشيخ ابن باز (١١/٣١٤).

(٤) انظر: فتوى تحريم شرب الدخان من فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة (١) (٢٢/١٢٠)، وفتوى دار الإفتاء المصرية الصادرة بتاريخ ٤/١١/٢٠٠٠م.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٩٠). بتصرف.

٢ – أن التدخين من الخبائث بإجماع مجتنبيه ومتعاطيه، وما كان كذلك كان من المحرَّمات، لقوله تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

توجيهات لمن ابتلي بالتدخين:

١ – التسليم بما بينه العلماء من حرمته، فمن يشربه معترفاً بالحُرْمَة أهون حالاً ممن يشربه وهو منكر لحرمته؛ مُمَارٍ في حكمه بلا علم ولا بصيرة.

٢ – عدم التدخين في الأماكن العامة وبين أفراد الأسرة، والالتزام بالأماكن المخصصة لذلك، لأن الرضا بارتكاب المحرَّم في حق النفس لا يبرر لك التسلُّط بالإضرار على نفوس الآخرين.

٣ – الحذر كل الحذر من نشر تعاطيه بين الناس، أو الاستهانة بذلك، فالداعي إلى المحرم يأثم كإثم مرتكبه، لقوله ﷺ: (من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)[1]، وقال ﷺ: (من سَنَّ سُنَّة شرٍّ فاتبع عليها كان عليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئاً)[2].

٤ – المسارعة في تركه تعبدا لله ﷻ، بترك ما حرَّم، وحفاظاً على ما أنعم به من الصحة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم الحديث (٢٦٧٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب أبواب العلم، باب: ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة، رقم الحديث (٢٦٧٥)، وقال: «حديث حسن صحيح»، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٠٨١/٢).

ومن أفضل ما يعين الشباب على الإقلاع عن التدخين ما يأتي:

- الاستعانة بالله وقوة العزيمة: فليس ثمة ما يضمن نجاحك في إيقاف التدخين بعد اعتمادك على الله تعالى، واستمدادك العون منه وحده؛ سوى عزيمتك القوية، وإرادتك الصادقة.

- تغير الأماكن والعادات المرتبطة بالتدخين: فالتدخين عادة؛ يمكنك أن تستبدل بها غيرها من العادات النافعة في الدين والدنيا.

- الابتعاد عن المدخنين والمثبطين من الجهلاء الذين يدَّعون استحالة النجاة منه.

- زيارة الأطباء المتخصصين في معالجة حالات إدمان التدخين، والاستفادة من توصياتهم، ومراجعة الجمعيات والعيادات المتخصصة في ذلك[1].

***

مشكلة تعاطي المخدرات

أولاً: تعريف المخدرات وأنواعها:

المخدرات هي: «المواد التي تؤثر على الجهاز العصبي المركزي لمتعاطيها وتؤدي إلى الإضرار به وبالمجتمع عند إساءة استعمالها ويترتب على الاستمرار في تعاطيها الاعتماد عليها»[2].

وتشمل المخدرات أنواع كثيرة، يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

---

(١) توجد عيادات تابعة لوزارة الصحة تنتشر في مناطق مختلفة من المملكة، كما توجد جمعيات خيرية ذات نشاط واسع في هذا المجال مثل جمعية «نقاء».

(٢) مركز أبحاث مكافحة الجريمة – المخدرات والعقاقير المخدرة، ص (١٢٥).

١ – مجموعة القنب الهندي ومشتقاته، وتشمل: القنب الهندي، والحشيش، وزيت الحشيش، والماريوانا.

٢ – مجموعة الأفيون ومشتقاته، وتشمل؛ نبات الخشاش، والمورفين، والأفيون، والهيروين، والكوادين، وشبيهات المورفين.

٣ – مجموعة الكوكايين، وتشمل؛ نبات الكوكا، والكوكايين.

٤ – مجموعة القات، وتشمل؛ نبات القات ومستحضراته والتي هي من منبهات الجهاز العصبي المركزي.

٥ – مجموعة الإمفيتامينات وهي من المواد المنشطة للجهاز العصبي المركزي، وتشمل هذه المجموعة طائفة من مركبات الإمفيتامين والمشابهة للإمفيتامين من حيث المفعول.

٦ – مجموعة الباربيتورات، وهي مركبات حُضِّرت بطرق كيميائية من حامض الباربيتوريك ويلحق بها ما يشابهها في تأثيرها على الجهاز العصبي المركزي وإن أختلف عنها في التركيب الكيميائي، وتعتبر الباربيورات ومشابهاتها من مهبطات الجهاز العصبي المركزي.

٧ – مجموعة المواد المسبِّبة للهلوسة، وتشمل: عقال الـ(ل – س – د)، والمسكالين، وجوزة الطيب[1].

ثانياً: أضرار تعاطي المخدرات:

تتعدد أضرار تعاطي المخدرات ما بين أضرار دينية وصحية واجتماعية

---

(١) للتعرف على هذه الأنواع، وتفصيل القول فيها، انظر: المخدرات وعقوبتها في الفقه الإسلامي والنظام، أ. د. عبد الله بن إبراهيم الناصر، ص (٤٢) وما بعدها.

واقتصادية وسياسية وأمنية:

١ – أما الأضرار الدينية فلأن تعاطيها في ذاته كبيرة من الكبائر[١]، فضلا عن كونها تضييع الواجبات، وتحمل على فعل المنكرات، وإهدار الأوقات.

٢ – أما الأضرار الصحية، تتفاوت أضرار المخدرات الصحية من حيث التأثير على أجهزة الجسم على حسب أنواعها، فالهروين على سبيل المثل يؤدي إلى ضمور الدماغ وحدوث حالات من الجنون والهذيان، كما يفقد المتعاطي ذاكرته ومقدرته العقلية تدريجياً. ويؤدي إلى حدوث جلطات في الأوعية الدموية الدماغية وقد يحدث موت مفاجئ وهلوسات سمعية وبصرية، مما يجعل المدمن يقدم على الانتحار أو القتل.

٣ – أما الأضرار الاجتماعية، فلأنها تؤثر على السلوكيات الاجتماعية للفرد، حيث يسبب اضطراب الإدراك الحسي والتذكر والتفكير، والاختلال الوجداني، بالإضافة إلى الخمول والبلادة والإهمال وعدم الاكتراث وتدهور مستوى الطموح، والشعور بالانطواء الاجتماعي وعدم الرغبة في مقابلة الآخرين[٢].

٤ – أما الأضرار الاقتصادية؛ فمدمن المخدرات ينفق أمواله في سبيل قضاء شهوته، وقد يودع في السجون ومن ثم تبقى عائلته بلا أحدٍ ينفق عليها وتسوء أحوالها المادية.

---

(١) انظر: الأضرار الصحية للمخدرات، لمحمد على البار، ص (٣٣١)، والمواد المخدرة وطرق مكافحتها، لعبد العزيز العويفي وآخرون، ص (٥٤).

(٢) انظر: الآثار الاجتماعية لمتعاطي المخدرات، لرشاد عبد اللطيف، ص (٦٩).

٥ – أما الأضرار السياسية والأمنية، فلأن متعاطي المخدرات يخل دائما بالأمن العام عندما يكون في الأمكنة العامة وهو تحت تأثير المخدر، فقد يعتدي على الآخرين بأي طريقة من طرق الاعتداء وهذا يؤدي إلى زيادة نسبة الجريمة التي تؤدي إلى زعزعة الأمن بين الأفراد، كما أن الإدمان على المخدرات كثيراً ما يدفع المدمن الذي لا يكفي دخله لإشباع حاجته من المخدر في ارتكاب الجرائم للحصول على المال اللازم لشراء المخدر[١].

ثالثاً: حُكْمُ تعاطي المخدرات:

تعاطي المخدرات يعتبر من المحرَّمات لضررها البين في الضروريات الخمس التي اتفقت الشرائع السماوية على وجوب المحافظة عليها والعناية بها.

فكل ما يُشم أو يشرب أو يؤكل من المخدرات – على اختلاف أنواعها – حرام لا يجوز تعاطيه أو بيعه والاتجار به[٢].

ومن أدلة تحريم المخدرات ما يأتي:

١ – أنها من الخبائث، وقد حرم الله على عباده جميع الخبائث، ولم يحل لهم إلا الطيبات، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ (المائدة: ٤).

٢ – عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: (نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر)[٣].

---

(١) للتوسع في الموضوع، انظر: المخدرات وعقوبتها في الفقه الإسلامي والنظام، أ. د. عبد الله بن إبراهيم الناصر، ص (٨٤) وما بعدها.

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١) (٢٢/١٤١).

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأشربة، باب: النهي عن المسكر، رقم الحديث (٣٦٨٦)، والحديث حسنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/٤٤).

والمخدرات من المفترات[1].

٣ – أنها عظيمة الإضرار بدين الإنسان وعقله ونفسه وماله وعرضه، فهي مما يقوض أركان الإسلام الخمسة، ويزلزل بنيانها على شيء من التفاوت، ومن ذلك أنها تؤثر في العقل وتخل بتوازنه، وهو تلك اللطيفة الربانية التي يبصر بها الإنسان وجوه الصواب وطرائق الرشاد، ويعبد بها ربه[2].

٤ – تحريم المخدرات داخل في تحريم الخمر أو مقيساً عليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠ – ٩١)، وهذا موجود في المخدرات، فهي تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وتوقع العداوة والبغضاء بين الناس، بل إن كثيرا من أنواعها أشد ضررا من الخمر[3].

رابعاً: نصائح بشأن جرائم المخدرات:

- من الواجب على من ابتلي بتعاطي المخدرات أن يدرك بأن استمراره سيزيد من فداحة المشكلة، وأن الواجب عليه المسارعة في التوبة النصوح لله جلَّ وعلا، وطلب العون منه للتخلص من هذه البلية، وأن يسارع إلى المشافي الصحية المتخصصة في علاج حالات الإدمان لإخضاعه لعملية العلاج والصبر والاصطبار على مراحل

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١) (٢٢/١٣٧).

(٢) انظر: الحكم في السطو والاختطاف والمسكرات، اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، مجلة البحوث الإسلامية (١٢/٥٧).

(٣) انظر: المخدرات وعقوباتها في الفقه الإسلامي والنظام، أ. د. عبد الله إبراهيم الناصر، ص (١٢٢).

العلاج حتى يكتمل بعون الله وتوفيقه.

- على من عافاه الله من تعاطي المخدرات أن يهجر من غرروا به في هذه المتاهة، وأن يبتعد عن البيئة التي تعاطى فيها هذه السموم.

- مكافحة المخدرات من أنواع النهي عن المنكر، وقد تعتبر من الجهاد في سبيل الله إذا أخلص المكافح والمبلغ في عمله. ومن قتل في سبيل مكافحة هذا الشر وهو حسن النية فهو من الشهداء[1]، فالتعاون بين أفراد المجتمع في مكافحة هذه الجرائم في مصلحة الجميع؛ لأن رواجها مضرة على المجتمع كله، فمن أعان على فضح هذه الأوكار وكشفها للمسئول فهو مأجور، وبذلك يعتبر مجاهداً في سبيل الحق وفي مصلحة المسلمين وحماية مجتمعهم مما يضر بهم[2].

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر إلى:

١ – الآثار الاجتماعية والاقتصادية لإدمان وتعاطي المخدرات، د. جمال رجب.

٢ – الأضرار الناجمة عن تعاطي المسكرات والمخدرات، عبد الكريم العمري.

٣ – موقع المديرية العامة لمكافحة المخدرات التابع لوزارة الداخلية:

(https://www.moi.gov.sa).

***

(١) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٤/٤١٠).

(٢) انظر: المرجع السابق.

القسم الثاني

قضايا معاصرة متعلقة بالأمن

الوحدة الرابعة

حقوق الوطن السعودي في ضوء الشريعة الإسلامية

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – إيضاح مفهوم الوطن، وتطبيق مفهومه على الوطن السعودي.

٢ – إدراك أن حب الوطن السعودي مرتبط بالفطرة السليمة، وهو في مجمله لا يتعارض مع قواعد الشريعة وأحكامها.

٣ – الإلمام بحقوق الوطن السعودي، واستشعار المسؤولية بشأنها.

تمهيد في بيان مفهوم الوطن:

الوطن لغة: قال ابن منظور في لسان العرب: «الوطن: المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله..، وأَوْطَنَهُ: اتَّخَذَهُ وَطَناً، يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا؛ أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه»[1]، وعلى هذا فإن المقصود بالوطن لغة: مكان إقامة الإنسان، ومقره الذي إليه انتماؤه، سواء ولد به أو لم يولد[2].

تعريف الوطن اصطلاحا: فرَّق الجرجاني في كتابه «التعريفات» في تعريف «الوطن» بين الوطن الأصلي ووطن الإقامة، حيث قال: «الوطن الأصلي: هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه، ووطن الإقامة: الموضع الذي يستَقِرُّ فيه خمسة عشر يوماً أو أكثر من غير أن يتخذه مسكناً»[3]، ويستفاد من تعريفه أن الوطن قد يكون أصلياً فيكون هو الذي ولد فيه الإنسان أو أستقر وعاش فيه، وقد يكون موطن إقامة وهو ما يكون الاستقرار فيه عارض لفترة محدودة قد تطول أو تقصر.

وجُلّ التعريفات السياسية الحديثة قريبة من هذا المفهوم باختلافات يسيرة، فمن تعريفات الوطن عند الباحثين في العلوم السياسية أنه: «البلد الذي يسكنه مجتمع من الناس ويشعر المرء بارتباطه بهم، وانتهائه إليهم»[4].

وقد تعارفت الأنظمة الحديثة بضرورة الحصول على «جنسية الوطن» الذي ينتمي إليه ويعيش فيه حسب الضوابط والشروط التي تختلف من بلد إلى آخر.

---

(١) لسان العرب، مادة «وطن».

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة «وطن».

(٣) التعريفات، للجرجاني، ص (٢٥٣)

(٤) انظر: معجم المصطلحات السياسية والدولية، د. أحمد زكي بدوي ص (٩٣). بتصرف.

الانتماء إلى الوطن وحبه

الانتماء إلى الوطن:

الارتباط بالوطن فطرة إنسانية فطر الله الناس عليها، ونجد ذلك واضحاً في ذهن الأعرابي الذي قال: «إذا أردت أن تعرف الرجل؛ فانظر كيف تحننه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه»[1]، فقد اعتبر الأعرابي الحنان إلى الوطن من صفات الإنسان السليم.

كما لاحظ بعض الحكماء اشتراك الإنسان والحيوان والطير في هذه الفطرة فعبر عن ذلك بقوله: «ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان، الإبل تحن إلى أوطانها، وإن كان عهدها بها بعيدا، والطير إلى وكره، وإن كان موضعه مجدباً، والإنسان إلى وطنه، وإن كان غيره أكثر نفعاً»[2].

والوطن السعودي تكتمل فيه معالم الوطن الجامع لكل أبنائه من حيث المكان المشترك، والدين الواحد، والمصالح المتفقة، واتحاد اللغة والتاريخ والجنس والهموم والغايات، فقد أضحت المملكة بعد توحيدها واجتماع كلمتها على يد المؤسس رحمه الله؛ كياناً واحداً يَشعُر جميع أبنائه بالانتماء إليه ويفتخرون به.

ويعد الدين الإسلامي — المشترك بين أبناء الوطن السعودي — من أبرز العوامل

---

(١) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين السخاوي، ص (٢٩٧).
ومما ينبغي التنبيه له أن مقولة (حب الوطن من الإيمان) ليست حديثا نبويا، انظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين السخاوي، ص (٢٩٧)، ولعل الأصح أن يقال: حب الوطن من الفطرة.

(٢) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين السخاوي، ص (٢٩٧).

التي تشعر المواطن السعودي بالانتماء إلى وطنه، حيث يعتز أبناء هذا الوطن جميعاً بثقافتهم الإسلامية ويتميزون بتمسكهم بتعاليم دينهم.

وليس ثمة تعارض بين الشعور بالانتماء إلى الوطن والانتماء إلى الدين، إذ الدين مكون أساسي من مكونات الوطن السعودي، فهو قائم على خدمة الدين وتطبيقه عقيدة وشريعة وسلوكاً، وهذا ما أكدته أنظمة الدولة وعلى رأسها النظام الأساسي للحكم في الكثير من مواده، فمن ذلك: المادة الأولى منه حيث نصَّت على أن «المملكة العربية السعودية، دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولغتها هي اللغة العربية» كما نَصَّ النظام على أن من الواجبات التي تقوم بها المملكة: حماية عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بواجب الدعوة إلى الله، وإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما، وتوفير الأمن والرعاية لقاصديهما، بالإضافة إلى العمل على تحقيق آمال الأمة العربية والإسلامية في التضامن وتوحيد الكلمة، وعلى تقوية علاقاتها بالدول الصديقة [1].

حب الوطن:

حرصت حكومة المملكة العربية السعودية على تربية أفراد المجتمع السعودي على حب الوطن والاعتزاز به[2]، وهذا في جملته لا يتعارض مع القواعد العامة التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف، ويتفق مع الفطرة السليمة في محبة المكان الذي ولد فيه الإنسان وألفه، أو عاش فيه فترة طويلة من حياته.

---

(١) انظر: المواد «الثالثة والعشرين، والرابعة والعشرين، والخامسة والعشرين» من النظام الأساسي للحكم.

(٢) انظر: المادة «التاسعة» من النظام الأساسي للحكم.

فقد كان رسول الله ﷺ يحب وطنه، حيث كان ﷺ كثير التحنان إلى مكة المكرمة وهي موطن مولده ونشأته، حيث خاطبها قائلا: (ما أطيبك من بلد، وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)[1]. قال الشوكاني رحمه الله: «فيه دليل على أن مكة خير أرض الله على الإطلاق وأحبها إلى رسول الله ﷺ»[2].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن ورقة ابن نوفل قال لرسول الله ﷺ عندما أخبره بما رأى من أمر الوحي: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: (أو مخرجي هم)، قال: نعم[3]. «قال السهيلي: يؤخذ منه شدة مفارقة الوطن على النفس فإنه ﷺ سمع قول ورقة أنهم يؤذونه ويكذبونه فلم يظهر منه انزعاج لذلك؛ فلما ذكر له الإخراج تحركت نفسه لذلك؛ لحب الوطن وإلفه فقال: أوَ مخرجي هم»[4].

وقد علق السهيلي على حديث رسول الله ﷺ: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد)[5]. فقال: «في هذا الخبر وما ذكر من حنينهم إلى مكة ما جُبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين إليه»[6].

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب أبواب المناقب، باب: في فضل مكة، رقم الحديث (٣٩٢٦) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٨٣٢/٢).

(٢) نيل الأوطار (٣٥/٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم الحديث (٣).

(٤) حكاه ابن حجر العسقلاني عن السهيلي في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٥٩/١٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب: كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، رقم الحديث (١٨٨٩).

(٦) حكاه محمد بن عد الباقي الزرقاني، في شرحه على موطأ مالك (٣٦٤/٤).

وعن أنس ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر، فأبصر درجات المدينة، أوضع ناقته وإن كانت دابة حركها)، قال أبو عبد الله: زاد الحارث بن عمير، عن حميد: (حركها من حبها)[1]، ففي الحديث دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن، والحنين إليه[2].

ويلاحظ أن رسول الله لم يفرق في الحُبِّ بين وطن النشأة «مكة» وبين وطن الهجرة «المدينة» الذي أقام فيه دولة الإسلام وصار مركزا للأمة فيما بعد، مما يدل على أنه لا تعارض بين الانتماء إلى وطن النشأة بما فيه من اعتبار الأصول والجذور، وبين الانتماء إلى دولة الهجرة بما فيها من الاستقرار واعتبار المصالح.

وحب الوطن يجب أن يكون خاضعا لحب الدين فإذا تعرضا فإن حب الدين مقدم عليه، وهذا مستفاد من قوله ﷺ في الحديث السابق عن مكة: (ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)، فالرسول ﷺ ترك ما يحب مهاجرا في سبيل الله إلى موطن يستطيع أن يعبد الله فيه ويقيم شعائره، فإذا كان الوطن الذي ينتمي إليه الشخص من دول الكفر، والمواطن لا يستطيع تطبيق أحكام دينه ولا يأمن على نفسه من الفتنة؛ فإن عليه الهجرة إلى بلد مسلم وذلك حسب الشروط التي قررها العلماء في أحكامها[3].

وهذا له صلة بقاعدة «الولاء والبراء» التي هي من أعظم قواعد العقيدة الإسلامية،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب العمرة، باب: من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة، رقم الحديث (١٨٠٢).

(٢) انظر: كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، لمحمد الخضر الشنقيطي (٥٩/١٤).

(٣) انظر في أحكام الهجرة الوحدة العاشرة (الأقليات المسلمة).

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله في بيان معنى الولاء والبراء: «ومعناه محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم، والبراءة منهم ومن دينهم، كما قال الله سبحانه في سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤). وليس معنى بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم أو تتعدى عليهم إذا لم يكونوا محاربين، وإنما معناه أن تبغضهم في قلبك وتعاديهم بقبلك، ولا يكونوا أصحابا لك، لكن لا تؤذيهم ولا تضرهم ولا تظلمهم..»[1].

***

خصائص الوطن السعودي وأبرز حقوقه

خصائص الوطن السعودي:

الحب المشروع للوطن ينتج ثمارا يجدها الإنسان في غيرته على وطنه، وحرصه على أمنه، وعمله على الارتقاء به والحفاظ على مكتسباته وموارده، وتتأكد هذه المشاعر نحو وطننا السعودي نظرا لانفراده بخصائص ومميزات لا تتوفر في غيره من الأوطان، ومن أهمها ما يأتي:

١ – المملكة مهبط الرسالة الخاتمة وأرض الحرمين: ففي أرض المملكة نزلت الرسالة الخاتمة التي حملة مشاعل النور للبشرية، وفي أرضها بيت الله الحرام وقبلة المسلمين، والحرم المدني في مدينة الرسول ﷺ، وإن لم يكن للمملكة منقبة توجب الحب إلا ذلك لكفى.

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٥/٢٤٦).

٢ – التزام المملكة بتطبيق الشريعة الإسلامية، فقد تابع الأئمة من الأسرة الحاكمة جهدهم في إصلاح الدين والدنيا، حتى عهد الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله، والذي تم على يده توحيد المملكة العربية السعودية في القرن الرابع عشر الهجري، بعد جهاد استهدف إقامة شرع الله، وتنقية مجتمع المملكة من كل ما يخالف الدين، وجمع كلمة أبنائها على الحق الذي دعاهم إليه دينهم[١].

٣ – خدمة الدين في الخارج: حيث تتبنى المملكة منهجا متكاملاً للتواصل الحضاري، تقوم فيه بخدمة ملايين المسلمين الذين يعيشون بعيدا عن مجتمعاتهم المسلمة، وهي تقوم بذلك الواجب، خدمة للدعوة الإسلامية، ومساعدة للمسلمين في الحفاظ على انتمائهم الديني والثقافي، وهذا هو المقصد الأساسي للمملكة، إذ ليس من مقاصدها استقطاب المسلمين المواطنين، أو المقيمين في بلاد الغرب، استقطاباً سياسياً أو قومياً، ولكن مقصدها الأسمى هو الحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية، داخل المجتمعات التي يعيشون فيها[٢].

حقوق الوطن السعودي على المنتمين إليه:

لا شك أن هذا التميز الذي يتحلى به الوطن السعودي يوجب على جميع أبنائه أن يحرصوا على الوفاء بحقوقه والتي من أبرزها: طاعة ولاة الأمر والنصيحة لهم، واحترام النظم الحاكمة فيه، والدفاع عنه وحفظ أراضيه، والمشاركة في التنمية الوطنية، والحفاظ على أمواله ومنشآته.

---

(١) انظر: الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص (٩١).

(٢) انظر: المملكة العربية السعودية وخدمتها للإسلام والمسلمين في الغرب، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ص (٧، ٩).

أولاً: طاعة ولاة الأمر، والنصيحة لهم:

طاعة الرعية لولاة الأمر واجبة شرعا، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (النساء: ٥٩)، وقال رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني)[1]، فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد؛ وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم؛ وإن منعوه عصاهم: فما له في الآخرة من خلاق[2].

وطاعة ولاة الأمر حق للوطن؛ لأن أموره لا تستقيم دونهم، ولا فائدة من وجودهم ما لم تلتزم رعيتهم بالسمع والطاعة، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: «معلوم ما يحصل من ولاة الأمر المسلمين من الخير والهدى والمنفعة العظيمة. من إقامة الحدود، ونَصْر الحق، ونصر المظلوم وحل المشاكل، وإقامة الحدود، والقصاص والعناية بأسباب الأمن والأخذ على يد السفيه والظالم، إلى غير هذا من المصالح العظيمة، وليس الحاكم معصوماً إنما العصمة للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغون عن الله ﷻ، لكن الواجب التعاون مع ولاة الأمور في الخير والنصيحة فيما قد يقع من الشر والنقص، هكذا فهم المؤمنون، وهكذا أمر الرسول ﷺ. أمر بالسمع والطاعة لولاة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: قول الله تعالى و﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (النساء: ٥٩)، رقم الحديث (٧١٣٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/٣٥).

الأمور، والنصيحة لهم»[1].

ثانياً: احترام النظم الحاكمة للوطن:

فعلى المواطن أن يتعاون مع الدولة التي ينتسب إليها في تطبيق أنظمتها، إذا كانت هذه الأنظمة لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، فإن هذا من التعاون على البرِّ والتقوى، وقد أمر الله به في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٢) والخروج عن الأنظمة بما يعود على الفرد والمجتمع والدولة بالفساد من التعاون على الإثم والعدوان، وقد حرَّمه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة: ٢)[2].

ثالثاً: الدفاع عن الوطن وحفظ أراضيه:

إن من أهم الحقوق التي يلتزم بها الأفراد، باعتبارهم مواطنين في بلد واحد، هو الدفاع عن الوطن ضد التهديد الخارجي، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: «لا شك أن الدفاع عن الدين والنفس والأهل والمال والبلاد وأهلها من الجهاد المشروع، ومن يقتل في ذلك وهو مسلم يعتبر شهيداً؛ لقول النبي ﷺ: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)[3]»[4].

رابعاً: الحفاظ على أمواله ومنشآته:

فمن حقوق الوطن حفظ منشآته التي تقوم بخدمة المواطنين، فالحفاظ عليها

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٩/٩٦).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١)، (٢٣/٥٢٢).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الديات، باب: ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد، رقم الحديث (١٤٢١)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/١٠٤٧).

(٤) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز رحمه الله (١٨/٩٢).

واجب شرعي لأنها من الأموال العامة التي يتأكد الأمر بحفظها وعدم التساهل بشأنها فضلا عن الإضرار بها والاعتداء عليها؛ لأن ذلك من أعظم الذنوب والمعاصي[1].

خامساً: المشاركة في التنمية الوطنية:

فقد يحتاج الوطن إلى مشروعات تنموية علاوة على ما تتحمله ميزانية الدولة، وهنا يأتي دور المواطنين من أهل الثراء والخير، ليقوموا بواجبهم في تحقيق ذلك، وقد كان للمسلمين دور كبير في تحقيق الكفاية لمجتمعاتهم والترقي بالمستوى الاقتصادي لها، وذلك من خلال نظام الوقف الإسلامي، الذي قام بدور فعال في مجالات مختلفة كالتعليم والصحة والخدمات الاجتماعية ودعم اقتصاد الدولة[2]، وكذلك من خلال نظام التطوع الذي حث عليه الإسلام ووجه إليه.

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للاستزادة في موضوعات هذه الوحدة، انظر:

١ – الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، للدكتور. عبد الله بن عبدالمحسن التركي.

٢ – مفهوم الوطنية والتأصيل الشرعي لها – د. سلوى بنت محمد الحمادي.

***

(١) للتوسع في موضوع «حرمة الاعتداء على المال العام في الإسلام»: انظر: مقرر النظام الاقتصادي الإسلامي، الوحدة السادسة.

(٢) للتعرف على مفهوم الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي، ينظر: الوقف الإسلامي ودوره في تنمية قطاع المشروعات الصغيرة، لحسن الأسرج، والوقف ودوره في التنمية الاقتصادية، د. سليم منصور.

الوحدة الخامسة

حرمة الخروج على الحاكم وقتل الآمنين

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على:

١ – استشعار مخالفة الفئات الضالة للشريعة الصحيح، وقصر أفهامهم عن استيعاب وسطية الإسلام.

٢ – بيان الحكم الشرعي في الخروج على الحاكم المسلم، وقتل النفس المعصومة.

٣ – تفنيد الأقوال التي يستند إليها دعاة الفتن في المجتمع المسلم.

حرمة الخروج على الحاكم المسلم

طاعة ولي الأمر الذي انعقدت له البيعة الشرعية واجبة شرعاً على كل مسلم بايع هذا الإمام أو خضع لسلطانه في دولته، ما لم يأمر الحاكم بمعصية فحينئذ لا تجوز طاعته، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسير هذه الآية: «أمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1].

ولمنزلة الحاكم وأهميته في استقامة أمر المسلمين وأمنهم ذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى القول بحُرْمة الخروج على الإمام الشرعي ولو كان فاسقاً ما لم يكن كافراً كفراً بواحاً[2]، وذلك لحديث جنادة بن أبي أمية، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، فقلنا: حدثنا أصلحك الله، بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا: (أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)[3].

ومعنى قوله ﷺ: (وأثرة عليك) من الاستئثار، أي: عليك الطاعة وإن اختص

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (١٨٣).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١)، (٢٣/٣٩٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، رقم الحديث (١٧٠٩).

الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما هو عندهم[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)[2]، ومعنى الحديث: أنه لا يجوز الخروج على ولي الأمر إلا أن يُرى منه كفرا بواحا، كما أنه يجب على الأمة أن يؤمِّروا عليهم أميراً يرعى مصالحهم ويحفظ حقوقهم[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المشهور من مذهب أهل السُّنَّة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ، لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»[4].

دفع شبهة أن: «المقصود بالحاكم في النصوص الشرعية الحاكم العام للأمة».

يدعي بعض الجهلة جواز الخروج على الحاكم صاحب البيعة الشرعية بدعوى أنه ليس حاكما لجماعة المسلمين في جميع الدول الإسلامية، وأن الحاكم الذي يحرم

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١) (٢٣/٣٩٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم الحديث (١٨٥١).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١)، (٤/٤١٩).

(٤) منهاج السُّنَّة (٣/٣٩١)، وانظر: قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمر، لابن تيمية، ص (٢٣).

الخروج عليه هو الخليفة العام للمسلمين.

وهذا الذي يتذرع به هؤلاء خارج عن الفهم الصحيح لمفهوم إمام المسلمين وفق مقتضيات الحال الذي يعيشه المسلمون الآن، فإمام المسلمين قائم لاسيما في أرض بلاد الحرمين التي أخذت على عاتقها تحكيم شرع الله، وإن لم يكن ولي الأمر فيها إماماً عاما لجميع المسلمين في سائر بقاع المعمورة، فالإمام هو؛ ولي الأمر الأعلى في الدولة، ولا يشترط أن يكون إماما عاما للمسلمين؛ لأن الإمامة العامة انقرضت من أزمنة متطاولة، والنبي ﷺ قال: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة)[1]، فإذا تأمَّر إنسان على جهة ما بطريق شرعي، صار بمنزلة الإمام العام، وصار قوله نافذا، وأمره مطاعاً، ومن عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه والأمة الإسلامية بدأت تتفرق، فابن الزبير في الحجاز، وبنو مروان في الشام، والمختار بن عبيد وغيره في العراق، فتفرقت الأمة، وما زال أئمة الإسلام يدينون بالولاء والطاعة لمن تأمر على ناحيتهم، وإن لم تكن له الخلافة العامة[2].

وبهذا نعرف خطأ من يقولون إنه لا إمام للمسلمين اليوم، فلا بيعة لأحد!! ـ نسأل الله العافية ـ ولا ندري أيريد هؤلاء أن تكون الأمور فوضى ليس للناس قائد يقودهم؟! أم يريدون أن يقال: كل إنسان أمير نفسه؟!.[3].

***

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم الحديث (٧١٤٢).

(٢) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، للشيخ ابن عثيمين (٩/٨). والسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي الشوكاني (٩٤١/١).

(٣) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، للشيخ ابن عثيمين (٩/٨).

حرمة الاعتداء على الأنفس المعصومة

الجرائم التي تقع على النفس الإنسانية كالقتل والشج وغيرهما تمثل اعتداء صريحاً على حق الله تعالى وحق الإنسان معا، فالنفس يتعلق بها حق الإنسان في الحياة، ويتعلق بها أيضا حق الله تعالى في عبادة الناس له وطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه [1].

ومراعاة لهذه الحقوق جاء الخطاب الشرعي قاطعاً في حُرْمة المساس بالنفس البشرية سواء كان الاعتداء واقعا عليها من جانب الإنسان أو من جانب غيره، لأن نفسه ليست ملكه فيتصرف فيها على حسب ما يراه [2].

أولاً: حُرْمة قتل الإنسان نفسه:

في بيان حُرْمة اعتداء الإنسان على نفسه يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩) فقد دلّت الآية على حرمة المساس بالنفس بغير حق، ويدخل في ذلك اعتداء الإنسان على نفسه دخولا أولياً، سواء كان ذلك بإلقائها إلى التهلكة أو بفعلُ الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك [3]، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥) «والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين:

- ترك ما أُمر به العبد، إذا كان تركه موجباً أو مقارباً لهلاك البدن أو الروح.

---

(١) انظر: الموافقات، للشاطبي (٢/٥٣٨)، وأنواع الحقوق التي تحميها العقوبات الشرعية والآثار المترتبة عليها، للدكتور/ علي الحسون، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية (٥٦/٢١٤).

(٢) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد (٢/٢٣٤).

(٣) انظر: تفسير: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (١٧٥)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (٣/٢٢٧).

- فعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح.

ويدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك، ترك الجهاد في سبيل الله أو النفقة فيه الموجب لتسلُّط الأعداء، ومن ذلك تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر مخوف، أو محل مسبعة أو حيات، أو يصعد شجراً أو بنياناً خطِراً، أو يدخل تحت شيء فيه خطر ونحو ذلك، فهذا وأمثاله، ممن ألقى بيده إلى التهلكة»[1].

وفي التأكيد على حُرْمة قتل الإنسان نفسه يقول رسول الله ﷺ: (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سُمَّاً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)[2] كما ورد أن النَّبي ﷺ قال: (من قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذِّب به في نار جهنم)[3].

ففي هذين الحديثين خصَّ النبي ﷺ حكم قتل الإنسان نفسه بالذكر لأنه ربما يحمله الضجر والحمق والغضب على إتلاف نفسه، ويسولٌ له الشيطان أن الخطب فيه يسير، وأنه أهون من قتل نفس أخرى حَرُم قتلها عليه، ولأنه ربما يظن أن عدم المطالِب بالحق من قبل الخلق يقتضي المغفرة له، فدفعا لهذه التوهمات؛ أعلم النبي ﷺ

---

(١) انظر: تفسير: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص(٩٠).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب: شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، رقم الحديث (٥٧٧٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم الحديث (١٠٩) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم الحديث (٦١٠٥) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم الحديث (١١٠).

المكلفين أنهم مسؤولون عن ذلك يوم القيامة، ومعذبون به عذاباً شديداً، فإن ذلك في التحريم كقتل سائر النفوس المحرَّمة[1]، وفي حديث آخر؛ قال رسول الله ﷺ: (كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكيناً فحزَّ بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: (بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة)[2]، ففي ذلك بيان بأن في إقدام الإنسان على قتل نفسه أو المشاركة في ذلك تعدٍّ لحدود الله وانتهاك لحرماته؛ لأن فعل ذلك ينافي الصبر على أقدار الله، وفيه اعتراض على قضاء الله وقدره، وجزع من ذلك الذي اقتضت حكمته أن يبتلي عباده بالخير والشر امتحاناً واختباراً لهم[3].

وقاتل نفسه مرتكب لكبيرة دون الشرك وهو تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه على قدر الجريمة التي فعلها، ثم بعد التطهير والتمحيص يخرجه الله من النار إلى الجنة، بسبب توحيده وإيمانه وإسلامه الذي مات عليه[4]، ومع ذلك فإنه يغسل ويصلَّى عليه ويدفن مع المسلمين؛ لأنه عاصٍ وهو ليس بكافر؛ لكن ينبغي للإمام الأكبر ولمن له أهمية أن يترك الصلاة عليه من باب الإنكار؛ لئلا يظن أنه راضٍ عن عمله، والإمام الأكبر أو السلطان أو القضاة أو رئيس البلد أو أميرها إذا ترك ذلك من باب إنكار هذا الشيء وإعلان أن هذا خطأ فهذا حسن، ولكن يصلي عليه بعض المصلين[5]، كما يجوز لأهله أن يترحموا عليه وأن يدعوا له[6].

---

(١) انظر: الكاشف عن حقائق السنن، والمشتهر بشرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢٤٥٧/٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل رقم الحديث (٣٤٦٣).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١)، (٨٨/٢٥).

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١)، (٣٩٥/٨)، وفتاوى نور على الدرب، للشيخ ابن باز (٤١/١٤).

(٥) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١)، (٣٩٤/٨)، مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (١٢٢/١٣).

(٦) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١)، (٣٩٤/٨).

ثانياً: حُرْمة قتل المعصومين:

إذا كان قتل الإنسان نفسه محرما فقتله غيره محرم أيضاً وربما يكون من باب أولى لما فيه من التعدي على حق الغير في الحياة، وليس في ذلك فرق بين نفس المسلم وغيره من غير المسلمين الذين عصم الله دماءهم بالعهد أو الميثاق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: ١٥١)، ففي هذه الآية نهى جلا وعلا عن قتل النفس المحرَّمة، مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق الذي يوجب قتلها[١].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الذي حرَّم الله قتله من النفوس أربعة:

المسلم: فهو معصوم بإسلامه، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣)، ولقول رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة)[٢]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة، ويقول: (ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله، ودمه، وأن نظن به إلا خيراً)[٣].

---

(١) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣٣/٧)، وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٢٧٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب: قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ (المائدة: ٤٥)، رقم الحديث (٦٨٧٨).

(٣) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب: حرمة دم المؤمن وماله (٣٩٣٢). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٤٨/٧).

الذمي: هو الذي جرى بينه وبين المسلمين عقد وعهد على أن يبقى في البلاد الإسلامية محترما ولكن يبذل الجزية، فإذا فعلوا ذلك وجب علينا حمايتهم وحرُم علينا الاعتداء عليهم لا في المال ولا في النفس ولا في العرض، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩).

المعاهد: هو الذي عُقِد بينه وبين المسلمين عهدٌ، كالذي جرى بين النبي ﷺ وبين قريش عام الحديبية، فإذا جرى بين المسلمين وبين غير المسلمين عهد على عدم الاعتداء صار هذا العهد ملزماً ومانعاً من العدوان عليهم، لقوله ﷺ: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)[1].

المستأمن: يعني الذي أخذ أمانا منا، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ (التوبة: ٦)»[2].

***

حرمة العمليات الانتحارية

الأعمال الانتحارية التي يقوم بها بعض الجُهَّال، ليَقتِل منْ يَقتِل من العدو، ويكون هو أول من يموت بها، يعتبر القائم بها قاتلاً لنفسه معذباً في النار بما قتل به نفسه[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب: إثم من قتل معاهدا بغير جرم، رقم الحديث (٣١٦٦).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢٩٦/٧) بتصرف.

(٣) انظر: المرجع السابق (٣٦١/٢٥).

ومما يستدل به على ذلك ما يأتي:

١ — نهي الله تعالى عباده عن قتل أنفسهم، وقد سبق بيان الأدلة على حرمة ذلك.

٢ — أن المقصود من الجهاد في سبيل الله حماية الإسلام والمسلمين، والمنتَحر يُدمِّر نفسه ويُفقِد بانتحاره عضو من أعضاء المسلمين.

٣ — أن العمليات الانتحارية تتضمن ضرر على المسلمين، لأنَّ العدو لن يقتصر على قتل واحد، بل يقتل به أُمماً إذا أمكن.

٤ — عدم وجود دليل صحيح صريح على جواز ذلك، فهي باقية على الأصل في حُرْمة قتل النفس.

أما ما جاء في خبر غزوة اليمامة من أن البراء بن مالك ﷺ أَمر أصحابه أن يُلْقُوه من وراء الجدار ليفتح لهم الباب[1]، فإن قصة البراء ليس فيها هلاكٌ محقق ولهذا نجا وفتح الباب ودخل الناس، ومن ثم لا يكون حجة على الجواز لاختلاف الصورتين حيث إن موت الانتحاري مقطوع به، ومثل ذلك ما ورد عن بعض الصحابة: من خرق صفوف الكفار أو الدخول في حصنهم، فالقتل فيه غير مؤكد لاحتمال السلامة[2].

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب: من تبرع بالتعرض للقتل رجاء إحدى الحسنيين، رقم الحديث (١٧٩٢١).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣٥٦/٢٥، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٣).

***

أخي الطالب/أختي الطالبة :

للاستزادة في موضوعات هذه الوحدة، انظر :

١ – قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمر لابن تيمية.

٢ – الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين، الجزء الثامن.

***

الوحدة السادسة

مناقشة لأبرز الشبهات في الفكر المتطرف

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – بيان التزام المملكة العربية السعودية بقواعد الشريعة الإسلامية وأحكامها.

٢ – التحذير مما وقعت فيه الفئات الضالة من الزيغ في فهم الواقع بسبب قلة العلم.

٣ – استشعار فضل علماء الأمة في تحصين الناس من الانخداع بما يروجه الجهلة من الشبهات.

تمهيد:

بيَّنا فيما سبق أن العمليات الانتحارية حرام ولو كانت ضد الأعداء في حالة الحرب، فماذا لو كانت هذه العمليات موجهة ضد جموع المسلمين الآمنين على النحو الذي يفعله بعض الإرهابيين المعادين للمجتمع، الخارجين على ولي الأمر؟

لاشك أن ذلك أشد حرمة لما فيه من شيوع الإفساد في الأرض، ونشر الفوضى، والخروج على الحاكم، وتلبيس الأمور على الناس باسم الجهاد في سبيل الله.

والحقيقة أن هؤلاء ينطلقون في مواقفهم من عدة مشبهات علمية ومنهجية ينبغي على طلاب العلم والمثقفين الوقوف عليها حتى يكونوا في منعة عن التغرير بهم من قبل هذه الفئات، بل ويستطيعوا مناقشتهم والرد عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار بالتي هي أحسن، فلا ريب أنهم من مجتمعنا وينتمون إلينا، ولكن استدرجتهم المنظمات الخارجية التي تعمل في هدم دول الإسلام وتقويض بنائها وإشعال نار الفتنة في أقطارها، حيث استغلوا حماسهم لنصرة الدين فصوَّروا لهم الأمور بغير حقيقتها، وأن المجتمع قد وقع في فساد عريض وشر مستطير، وأن الحكام لا يحكمون بما أنزل الله... وأن وأن...، وهكذا بدءوا يستغلون ضعفهم العلمي ووجدانهم العاطفي في ضرب أنفسهم ومجتمعاتهم ودولتهم التي ولدوا بها ونشئوا على أرضها وأكلوا من خيراتها.

ونقف مع بعض هذه الشبهات مبينين المناقشة العلمية لها من النصوص الشرعية ومن كلام أهل العلم في تفسيرها والمراد بها.

***

الشبهة الأولى: الادعاء بأن ولاة الأمر في بلاد الحرمين لا يحكّمون الشريعة وتكفيرهم بذلك:

الواجب على المسلمين أن يتحاكموا إلى الشريعة الإسلامية امتثالا لأمر الله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧).

والحكومة في هذه البلاد – ولله الحمد – محاكمها قائمة على تحكيم شريعة الله تعالى أو سُنَّة رسوله ﷺ أو ما انعقد على القول به إجماع الأمة أو ما قيس على النصوص أو ما بني على المصالح الشرعية التي تدخل ضمن السياسة الشرعية، إذ الاحتكام إلى غير ما أنزل الله طريق إلى الكفر والظلم والفسوق[1].

وقد نَصَّ النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية على تحكيم الشريعة الإسلامية في كل شؤون البلاد، فنصت المادة السابعة من النظام على أنه: «يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة»، وتطبيقاً لذلك نَصَّت المادة الثامنة منه على أن: «يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة، وفق الشريعة الإسلامية».

وفي استقلال القضاء نَصَّت المادة السادسة والأربعون من النظام الأساسي للحكم على أن «القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان

(١) انظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٤٧/١٢).

الشريعة الإسلامية».

كما نَصَّت المادة الثامنة والأربعون من النظام ذاته على أن: «تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية، وفقا لما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، وما يصدره ولي الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسُّنَّة».

فالقضاء في المملكة منذ نشأته – ولله الحمد – خاضع لأحكام الشريعة منفذ لحدودها راع لحرمتها، فكيف يدعي هؤلاء أنَّ السلطة في المملكة لا تطبق شرع الله، وأنه لابد من الخروج على نظامها من أجل العمل على تطبيق الشريعة.

وقد بين ذلك مجموعة من العلماء الربانيين الذي شهد لهم القاصي والداني بالمعرفة الواسعة والعلم الشامل:

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «الحكومة بحمد الله دستورها الذي تحكم به هو كتاب الله وسُنَّه رسوله ﷺ وقد فتحت المحاكم الشرعية من أجل ذلك»[1].

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «الدولة السعودية دولة مباركة نصر الله بها الحق، ونصر بها الدين، وجمع بها الكلمة، وقضى بها على أسباب الفساد وأمن الله بها البلاد، وحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه إلا الله، وليست معصومة»[2].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «أقول – وأشهد الله تعالى على ما أقول وأشهدكم أيضاً – إنني لا أعلم أنَّ في الأرض اليوم من يطبق من شريعة الله ما يطبقه

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٦٦/١٢).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٩٨/٩).

هذا الوطن أعني المملكة العربية السعودية، وهذا بلا شك من نعمة الله علينا فلنكن محافظين على ما نحن عليه اليوم، بل ولنكن مستزيدين من شريعة الله ﷻ أكثر مما نحن عليه اليوم، لأنني لا أدّعي الكمال، وأننا في القمة بالنسبة لتطبيق شريعة الله، لا شك أننا نُخِلُّ بكثير منها، ولكننا خيرٌ – والحمد لله – مما نعلمه من البلاد الأخرى، ونحن إذا حافظنا على ما نحن عليه اليوم، ثم حاولنا الاستزادة من التمسك بدين الله ﷻ عقيدة ومنهاجاً فإن النصر يكون حليفنا ولو اجتمع علينا مَنْ بأقطارها»[1].

وحتى ولو افترضنا وقوع ولاة الأمر في تقصير ما في تطبيق حكم الله؛ فهم غير معصومين، ولا يجوز تكفيرهم بذلك، لأن الحكم بغير ما أنزل الله لا يكون كفراً مُخْرِجاً عن الملة في جميع الأحوال، بل التفصيل في ذلك هو الحق الذي عليه عامة المسلمين، وعليه علماء هذا البلد المبارك، فالحكم بغير ما أنزل الله يكون كفراً أكبر إن استحلَّ الحاكم الحُكْم به ورأى أنه لا بأس به، وأن الشريعة لا تناسب اليوم وأن القوانين الوضعية أنسب منها.

أمَّا مَنْ حَكَم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أنه عاصٍ لله؛ لكن حَمْله على الحُكْم بغير ما أنزل الله ما يُدفع إليه من الرشوة أو غير هذا أو عداوته للمحكوم عليه أو قرابته أو صداقته للمحكوم له ونحو ذلك، فهذا لا يكون كفره أكبر، بل يكون عاصياً لله، وقد وقع في كُفْر دون كُفْر وظُلْم دون ظُلْم وفِسْق دون فِسْق، كما أوضح ذلك أهل العلم في تفسير الآيات (٤٤ و٤٥ و٤٧) من سورة المائدة[2].

---

(١) مجموع رسائل وفتاوى الشيخ ابن عثيمين (٥٠٦/٢٥).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١)، (٧٨٠/١)، (١٤٢/٢)، وفتاوى نور على الدرب، للشيخ ابن باز (١٢٧/٤).

قال القرطبي رحمه الله في تفسير الآيات: «أما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة. وقيل: فيه إضمار، أي ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا للقرآن، وجحدا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر، قاله ابن عباس ومجاهد»[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «الصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكُفرين الأصغر والأكبر، بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصياناً، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفرٌ أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخير فيه، مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطئ، له حكم المخطئين»[2].

الشبهة الثانية: إجازة الخروج على ولاة الأمر من غير إقامة حُجَّة أو مناقشة:

لو افترضنا وجود إمامٍ حكم بغير ما شرع الله فإن هذا لا يعني الخروج عليه مباشرة كما يفعل المتطرفون الذين يعملون في الخفاء ويداهمون الناس على غِرة، بل لابد من ثَمَّة أمور يجب توفرها، وهي:

الأمر الأول: حصول الشروط اللازمة للحكم بتكفيره:

وهي الشروط التي اشترطها الرسول ﷺ للخروج على الحاكم الكافر، حيث فقال: (إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)[3]، فهذه هي الحالة الاستثنائية الوحيدة التي يجوز فيها الخروج على الحاكم متى توفرت شروطها المتمثلة في الآتي:

---

(١) تفسير: الجامع لأحكام القرآن (١٩٠/٦)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١١٩/٣)، وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٢٣٣).

(٢) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين (٣٤٦/١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، رقم الحديث (١٧٠٩).

١ – العلم اليقيني بالكفر، وهو المشار إليه بقوله ﷺ (إلا أن تروا): والرؤية إما بالعين أو بالقلب، وهي بالعين بصريَّة وبالقلب علمية، بمعنى أننا لا نعمل بالظن، أو بالتقديرات، أو بالاحتمالات، بل لابدَّ أن نعلمَ علمَ اليقين.

٢ – أن نرى كُفراً لا فسوقاً، فمثلاً: الحاكم لو كان أفسق عباد الله يشرب الخمر وغيره من المحرمات فهو فاسق، لكن لم يخرج من الإسلام، فإنه لا يجوز الخروج عليه وإن تحقق فسقه، لأنَّ مفسدة الخروج عليه أعظمُ بكثير من مفسدة معصيته التي هي خاصة به.

٣ – زوال احتمال عدم الكُفْر، وهو المشار إليه بقوله ﷺ «بواحاً»: والبواح يعني: الصريح، والأرض البواح: هي الواسعة التي ليس فيها شجر ولا مدر ولا جبل، بل هي واضحة للرؤية، فلابدَّ أن يكون الكفر بواحاً ظاهراً لا يشك فيه أحد، مثل أن يدعو إلى نَبذِ الشريعة، أو يدعو إلى ترك الصلاة وما أشبه ذلك من الكفر الواضح الذي لا يَحتَمِل التأويل، حتى إنه لا يجوز الخروج عليه إن كُنَّا نرى أنه كفر وغيرنا يرى أنه ليس بكفر، فإنه لا يجوز الخروج عليه؛ لأن هذا ليس بواحاً.

٤ – وجود الحجة على الكفر، لقوله ﷺ (عندكم فيه من الله برهان)، أي دليلٌ واضح وليس مجرد اجتهاد أو قياس، بل هو بيّنٌ واضح أنه كُفْر[1].

الأمر الثاني: إقامة الحُجَّة على الحاكم لكونه لا يحكم بما أنزل الله:

يجب إقامة الحُجَّة على الحاكم ذاته للتأكد من كونه حكم بغير ما أنزل الله قانعا بذلك عامداً متعمداً غير جاهل ولا متأوِّل ولا مكره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال من قال كذا فهو كافر

(١) انظر: مجموع رسائل وفتاوى الشيخ ابن عثيمين (٢٥/٣٧١).

لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[1]، وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان سواء كان في المسائل النظرية أو العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام[2].

الأمر الثالث: شرط امتلاك القدرة التي ترفع حُكْمَه بلا مفسدة:

إذا قامت الحُجَّة على الحاكم بغير ما أنزل الله واجتمعت الشروط؛ جاز الخروج ولكن بشرط امتلاك القدرة التي ترفع حكم هذا الحاكم بلا مفسدة، وتُمكِّن غيره على الحكم من غير ضرر، فإن لم تمتلك هذه القدرة لم يجز الخروج.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «إن الله لم يُوجب الجهاد على المسلمين حين كانوا ضُعفاء في مكة، ولو شاءوا لاغتالوا كُبراءهم وقتلوهم، لكنه لم يأمرهم بهذا، ولم يأذن لهم به؛ لعدم القدرة، وإذا كانت الواجبات الشرعية التي لله عز وجل تسقط بالعجز، فكيف هذا الذي سيكون فيه دماء...، وما ضرَّ الأمَّةَ أوَّل ما ضرَّها في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إلا التأويل الفاسد والخروج على الإمام»[3].

الشبهة الثالثة: الادِّعاء بأن ما يقاومون به ضد مؤسسات الدولة جهاد:

ما تقوم به الفئات الضَّالَّة من قتل وترويع للمسلمين، وتتبع لرجال الأمن

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/٣٤٥).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٢٣/٣٤٦).

(٣) المرجع السابق (٢٥/٣٧١).

والجيش، وتفجير في المنشآت العامة، بل وفي بيوت الله – عياذاً بالله – دون مراعاة لحرمة الأماكن والدماء، هذا كله مبني على قولهم الفاسد بتكفير ولاة الأمر ومن يعمل معهم، فهم يُقدمون على قتل رجال الأمن والجيش بحجة أنهم أعوان للطواغيت يجب جهادهم؟؟.

والحقيقة أن هذه الادعاءات باطلة لأنها مبنية على باطل، وهو القول بكفر الحكام المسلمين المطبقين لشرع الله، فحكمهم بأنهم غير مطبقين لشرع الله ليس عليه حُجَّة ولا دليل إلا الوهم وتضخيم الأمور وعدم الفقه بالواقع، وقد أدى هذا الوهم بهؤلاء إلى أن طبقوا أحكام الجهاد بالسلاح في غير محلها، فالجهاد في الإسلام مشروع لقتال الكفار المبارزين المعاندين المحاربين[1]، وليس لقتال المسلمين الآمنين الذين يشهدون الشهادة الحقة، ويصلون إلى القبلة، ويقيمون أركان الدين وشعائره، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠)، وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ (التوبة: ٢٩).

وقال ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)[2]، وبذلك يكون العمل بالظواهر؛

---

(١) انظر: الشرح الممتع شرح زاد المستقنع، للشيخ ابن عثيمين (٦/٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ ﴾ (التوبة: ٥)، رقم الحديث (١٤/١).

فإذا شهد إنسان أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة؛ عصم دمه وماله، وحسابه على الله؛ فليس لنا إلا الظاهر، وكذلك أيضا من قال لا إله إلا الله؛ حَرُم دمُه وماله، هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام[1].

الشبهة الرابعة: تكفير من استعان من المسلمين بالكافرين لدفع عدوان المعتدين:

مما يتذرع به بعض الخارجين عن طاعة ولي الأمر، قولهم بكفر من استعان بالكافرين لدفع عدوان المعتدي على بلاد المسلمين، كما حدث عند استعانة المملكة بجيوش دولية لحماية البلاد من خطر حاكم العراق في وقته الذي هاجم الكويت واغتصب أرضها، وأصبح مصدر فزع للآمنين في أوطانهم.

والذي أفتى به علماء هذا البلد؛ أن الاستعانة المذكورة ليست مما يخالف الشرع أو ينقض الإيمان، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله فيما يتعلق بهذه الشبهة: «لا مانع من الاستعانة ببعض الكفار للجيوش الإسلامية والعربية ولا بأس من الاستعانة لصدِّ عدوان المعتدي والدفاع عن البلاد وعن حرمة الإسلام والمسلمين...، كل ما في الأمر أن الدولة السعودية احتاجت إلى الاستعانة ببعض الجيوش من جنسيات متعددة، ومن جملتهم الولايات المتحدة، وإنما ذلك للدفاع المشترك مع القوات السعودية عن البلاد والإسلام وأهله، ولا حرج في ذلك؛ لأنه استعانة لدفع الظلم وحفظ البلاد وحمايتها من شر الأشرار وظُلْم الظالمين وعدوان المعتدين، فلا حرج كما قرره أهل العلم وبينوه، وأما ما أشاعته بعض الأقليات الإسلامية... حول تدخل الإمبريالية في شؤون المسلمين ومقدساتهم وغيرها من الإشاعات الباطلة فإن هذا خطأ كبير...، وحتى لو كانوا مسلمين إذا تعدوا وجب ردعهم ولو بالاستعانة ببعض الكفرة، وعلى طريقة

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين (٢٧٩/٣).

سلمية كما هي يدفع بها الشر وتُحْمَى بها البلاد، والرسول ﷺ استعان بصفوان بن أمية يوم حنين لحرب أهل الطائف، وبذلك فإن الاستعانة بالكفار على من تعدى وظلم يجوز على الكفار أو على أي متعد وظالم، والذي لا يجوز هو أن ينصر كفار على مسلمين، أما هذا الوضع فهو يحمي المسلمين وأراضيهم من المجرمين والمعتدين والكافرين، وفرقٌ بين الاثنين، بين إنسان ينصر الكفَّار على المسلمين ويعينهم على المسلمين وهذه هي الردة، لا تجوز، وهذا منكر. أما كما هو الحال بالمملكة من الاستعانة بالكفار لردع المعتدي وصده، سواء كان كافراً أو مسلماً عن بلاد الإسلام والمقدسات فهذا أمر مطلوب ولازم؛ لأنه لحماية المسلمين ورد الأذى عنهم، سواء كان كافرا أو مسلما»[1].

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للاستزادة في موضوعات هذه الوحدة، انظر:

١ – مجموع فتاوى الشيخ ابن باز، الجزء السادس.

٢ – الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين، الجزء الثامن.

***

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (١٥١/٦).

القسم الثالث

قضايا معاصرة متعلقة بالثقافة

الوحدة السابعة

العولمة الثقافية وموقف المسلمين منها

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – بيان مفهوم العولمة الثقافية.

٢ – إيضاح كيفية مواجهة العولمة الثقافية.

٣ – استشعار المخاطر الثقافية التي تهدد أمن الثقافة الإسلامية.

ما هي العولمة الثقافية؟

أولاً: مفهوم العولمة الثقافية:

مفهوم العولمة:

العولمة على وزن «فوعله» وهو وزن يستخدم حالياً فيما يحمل عليه الناس قهراً، مثل «الفرنسة» أي جعل غير الفرنسي فرنسياً عن طريق سلب هويته قهراً، ولذا جاء قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة بإجازة استعمال العولمة بمعنى «جعل الشيء عالميا»[1] وإن كان ليس عالمياً بطبيعته، وعلى هذا يمكن تعريف العولمة بأنها:

مجموعة من الإجراءات والسياسات التي ترمي إلى تعميم نمط حضاري خاص.

سواء تعلق هذا النمط بالمجال الاقتصادي أو الثقافي أو غيرهما.

وهذا التعريف يكشف لنا مجموعة من الحقائق، تتمثل فيما يأتي:

١ – أن مقصود العولمة هو نَقْل الإدارة المحلية للدول إلى مركز إدارة عالمي، ليقوم هذا المركز بتحديد القيم والمبادئ المقبولة والمرذولة، ورَفْع من يوافقه، وخَفْضُ من يعارضه، معتمداً في ذلك على ما يملكه من أدوات وإمكانات، لا سيما في ظل غياب المعارض الاقتصادي أو العسكري الذي ينافسه أو يكبح من جموحه؛ وهذه الحقيقة بلورها كثير من الباحثين الذي اتفقوا فيما بينهم على أن المقصود من العولمة على الحقيقة هو فَرْض النموذج الغربي على دول العالم[2].

٢ – أن العولمة بتبنيها لأسلوب حَمْل الغير على تبني الرؤية الخاصة للحياة اعتماداً

---

(١) انظر: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، لخليل العاني، ص (١٠٩).

(٢) انظر: العولمة والهوية الثقافية، لخليل العاني، ص (٣٠٠).

على الفارق المادي في القوة الاقتصادية أو العسكرية، تتعارض مع الإسلام، فالعولمة في حقيقتها ترمي إلى تجاوز الحدود المحلية، وإجراءات الحماية الخاصة من الحكومات والمنظمات بحسب قناعاتها، للخضوع لرؤيتها الخاصة؛ بينما يقف الإسلام على النقيض من ذلك؛ حيث لا يكره الآخرين على الدخول فيه – مع أنه دين الحق – وإنما يكتفي ببيان الحق وشرحه بأسلوب يمتلأ بالحكمة والحسن، ثم يترك باب الاختيار مفتوحا أمام المدعو للتمسك بقناعاته الشخصية السابقة أو تركها، يقول تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ويقول: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩).

٣ – أن ما يذيعه دعاة العولمة من أن النظام العالمي قائم على عدم التفريق بين الناس على أي أساس، سواء كان ديناً أو عرقاً، ذكورياً أو أنثوياً، أو غير ذلك، فما هو إلا ادِّعاء أجوف تكذبه سياسات العولمة من جهة، ثم كلام المنظّرين الغربيين من جهة أخرى، حيث اعترف عدد منهم من بينهم «توماس فريدمان» بأن حقيقة العولمة مبنية على الهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية للدول الأقوى[1].

وبناء على ذلك، فالعولمة ما هي إلا صورة من صور الهيمنة الحضارية «بسبل إكراهية وقسرية على النماذج الأخرى»، وإن كان بعض الباحثين يذهب إلى أكثر من ذلك، باعتبارها النموذج الخفي الذي يريد الصهاينة فرضه على العالم[2].

٤ – أن العولمة تقف في طريق معاكس للفطرة الإنسانية القائمة على التنوع والاختلاف، والتعاون بين المختلفين، لأنها لا تعني في الواقع «التمازج» الحضاري بين

---

(١) انظر: رسالة المسلم في حقبة العولمة، لناصر بن سليمان العمر، ص (٧).

(٢) انظر في هذا المعنى: العولمة حلقة في تطور آليات السيطرة، لخالد أبو الفتوح، مجلة البيان، العدد (١٣٦)، ص (٩١)، والعولمة الثقافية وأثرها على الهوية، لخالد بن عبد الله القاسم، ص (٦).

مختلف الألوان والأطياف من أجل إنتاج مشتركات حضارية ؛ كما أنها تسعى إلى جعل العالم نسخة واحدة، وهذا مغاير لما هو مشاهد؛ إذ لا بد من التضاد والتغاير الحضاري، بل هو سُنة كونية حاضرة، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المائدة: ٤٨)، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٨ – ١١٩).

٥ – الارتباط الوثيق بين العولمة والقوة المادية سواء كانت عسكرية أو اقتصادية، فعدم التكافؤ بين القوى المختلفة في العالم، عسكرياً واقتصادياً؛ دفع الأطراف القوية للمناداة بفكرة العولمة لما يرونه من النتائج المترتبة على سيطرتهم على أدوات وإمكانات العالم ؛ ولهذا ظهرت العولمة بأنها «انتقائية، بل منحازة إلى حد كبير للغرب ضد الشرق، وللشمال ضد الجنوب، فالأسواق في الدول الصناعية ما زالت غير مفتوحة أمام المنتجات الزراعية والمنسوجات التي تمتلك فيها الدول النامية مزايا مهمة، والقوانين التي تمنع دخول هذه المنتجات إلى أسواق الغرب ومنافسة منتجاته – وإن كانت أفضل وأرخص – وهذا ما يفند المقولات حول عصر تلاشي الحدود ونهاياتها، وانفتاح الأسواق العالمية أمام مختلف البضائع لكونها سوقاً حرة تعمل وتسير بموجب قوانين العولمة[1].

مفهوم العولمة الثقافية :

على ضوء ما سبق يمكن تعريف العولمة الثقافية بأنها: **عملية يُقْصَد منها حَمْل المجتمعات على الالتزام بالنموذج الثقافي الغربي، والتخلي الطوعي عن الهوية الثقافية.**

(١) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، لخليل العاني، ص (١١٧).

وهذا يعني اتخاذ ثقافة الغرب مقياساً معتمداً للكشف عن علوّ رتبة الثقافة المقابلة أو دنوها، بما تشتمله كلمة الثقافة من معان متعددة، فتدخل فيها العقائد والتشريعات ونحوهما؛ ولهذا يكثر في المؤتمرات العالمية الطعن الصريح في القواعد والأحكام القطعية في الشريعة الإسلامية.

ويترتب على جعل الثقافة الغربية معياراً أو مقياساً للثقافات: تلاشي واضمحلال الثقافات المخالفة لها، وأن ما سيبقى من الثقافات المخالفة للثقافة الغربية هو فقط المشتركات العامة بين أي ثقافة وأخرى، وهذا يبيّن لنا أن العولمة الثقافية بالنسبة للأطراف الأضعف تعني الانحلال عن الهوية الذاتية إلى هوية الطرف الأقوى، وبالتالي فلا مجال للانخداع بدعوى التعاون بين الثقافة الأقوى المهيمنة والثقافات الأضعف في بعض المجالات من أجل التستُّر على الحقيقة.

وثَمَّة إشارات وتصريحات متعددة تدل على أن الحضارة الإسلامية هي العدو الطبيعي للحضارة الغربية، فكتاب «فوكوياما» تشير بوضوح إلى أن جميع الحضارات قد سلَّمت طوعاً أو كرهاً للحضارة الغربية إلا الحضارة الإسلامية، حيث يقول: «في نهاية التاريخ ليس ثمة منافسون أيديولوجيون للديمقراطية الليبرالية...فيبدو أن ثمة اتفاقاً عاماً إلا في العالم الإسلامي على قبول مزاعم الديمقراطية الليبرالية بأنها أكثر صور الحكم عقلانية»[1].

ثانياً: الموقف من العولمة التي تعنى عالمية الطرح:

بعد أن أخذنا تصوراً عن ماهية العولمة الثقافية، وذكرنا حقيقة العلاقة بين العولمة الثقافية والهوية الإسلامية — وقبل أن نتعرض لما يتوجب علينا تجاهها — لابد أن نسأل

(١) نهاية التاريخ وخاتم البشر، لفرانسيس فوكوياما، ترجمة: حسين الشيخ، ص (١٨٩).

أنفسنا سؤالاً مهماً: هل نحن ضد العولمة التي تعني عالمية الطرح؟

الجواب: بالطبع لا، والأدلة على ذلك؛ عالمية الدعوة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقال ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، ... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة)[1][2].

بل إن أمر الانفتاح على الآخر، وعرض الدعوة ومجادلته بالتي هي أحسن مما تكاثرت فيه الأدلة الشرعية، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وكأن القرآن الكريم هو الذي يسعى لاستنطاق الخصوم ما لديهم من ﴿عِلْمٍ﴾ أو ﴿أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أو ﴿بُرْهَٰنُهُمْ﴾ على هذا الذي يعتقدون: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: قول النبي ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)، رقم الحديث (٤٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد وموضع الصلاة، رقم الحديث (٥٢١).

(٢) انظر في أدلة عالمية الدعوة الإسلامية: الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها، دراسة نظرية في كتابات المستشرقين والمستغربين في القرن الرابع عشر الهجري، لإبراهيم بن عبد الله السماري – رسالة ماجستير – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام ١٤١٦هـ، ص (٥٨ – ٦٤).

﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٨)، ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (الأحقاف: ٤)، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١)، بينما كان مسلك المشركين هو التجاهل، وعدم الاستماع، والصد والصدود عن سماع القرآن الكريم الذي يجادلهم في معتقداتهم الباطلة بالأسلوب العقلي الرصين والحُجَّة الواضحة الدامغة، حتى وصل الحال بزعمائهم إلى أن يطلبوا من عامتهم عدم سماع القرآن وترك من يتلوه ويدعو إليه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت: ٢٦)، وعلى هذا، فإن العولمة لو كانت كما يصورها بعض المثاليين من «الانفتاح على الآخر»، وعدم الانغلاق لكان أهل الحضارة الإسلامية هم أول من يُرحب بهذا، لكن الأمر في حقيقته بخلاف هذا الطرح المثالي.

***

كيف نواجه العولمة الثقافية؟

إن وجود العولمة الثقافية على النحو الحالي جاء نتيجة استشعار أرباب الحضارة الغربية بالانفراد بقيادة العالم عسكرياً واقتصادياً، وأن الانتقال من مرحلة التبشير (التنصير) إلى مرحلة القسر والقهر جاء تتويجا لهذه النظرة المتعالية، لكن في الوقت نفسه يعد الضعف الذي أصاب الأمة الإسلامية في كافة المجالات، لاسيما من الناحية الإعلامية والثقافية من الأمور التي شجعت الغرب على هذه الجرأة.

وبناء على ذلك، فإن المعالجة الطبيعية لهذه المشكلة تكون – بصفة عامة – **بتقوية البناء الداخلي**، والمقاومة لهذا التيار، بل واستثمار ما تتيحه العولمة الثقافية من آليات

لبيان أوجه الريادة لثقافتنا الإسلامية، وعلى كل الأحوال، فلا أقل من الإنكار القلبي لمجموع الأُمَّة، فوجود الإنكار القلبي يؤكد أن الهزيمة النفسية لم تصب الفرد المسلم، وأنه لم يستسلم لواقع غير مقبول، ولم يعطه شرعية الوجود، وهو ما يؤكد أن الأمل معقود لإعادة البناء، أما عند تسليم آخر المعاقل، وهو الإنكار القلبي، فإن ذلك يكون مؤذناً بانتهاء القضية في حس الفرد، وبرهان على أنه استكان للواقع، ولم يعد يفكر في التغيير، وهذه هي مرحلة الهزيمة الحقيقية.

أما من الناحية العملية، فإن هناك آليات يمكن أن تقوم بها الأُمَّة أفراداً ومجموعات ودولاً؛ لمواجهة هذه العولمة الثقافية، ويمكن إجمال هذه الآليات في محاور ثلاثة، تندرج تحتها العديد من الصور الجزئية، نذكر بعضها، اكتفاء بذكر المحور العام الذي يضمها.

المحور الأول: التأكيد على الهُوية الإسلامية:

وهذا المحور يشتمل على العديد من العناصر التي قد تتسع لتشمل عناصر الإسلام جميعها، لكننا نؤكد هنا على عدد من العناصر هي:

١ – التربية[(١)]: والمقصود من ذلك إعداد الجيل الحالي والقادم على التمسك بهويته الإسلامية، وقيمه الرفيعة، وبما تشتمله التربية من عناصر متعددة، حيث تعتبر هذه التربية الحائط الحقيقي الذي تتحطم عليه أحلام الغرب من الهيمنة الثقافية.

وتشتمل التربية على إبراز الخصوصية الثقافية للأمة الإسلامية[(٢)]، فالهوية الثقافية بما تعنيه من خصوصية هي مواضع الإشكال مع الثقافة التي يراد لها الهيمنة والسيادة،

---

(١) انظر: العولمة الثقافية وأثرها على الهوية، لخالد بن عبد الله القاسم، ص (٢٠).

(٢) انظر: العولمة الثقافية، رؤية تربوية إسلامية، لوليد أحمد مساعدة، عماد عبد الله الشريفين – مجلة الجامعة الإسلامية، مج (١٨)، ع (١)، يناير ٢٠١٠م، ص (٢٦٨).

وذلك أن المشترك الثقافي ليس من نقاط الصراع ؛ ولهذا فالحفاظ على الهوية فرع عن معرفتها، وإبراز عناصرها لدى الجميع ؛ لأن اضمحلال الهوية مؤذن بحدوث اضطراب بين عناصر الثابت والمتغير في الهوية الثقافية، وكذلك بين المشترك والمتميز من العناصر الثقافية.

كذلك تشتمل التربية على عناصر التعليم والتدريب والتثقيف، ومحاربة الجهل وخَفْضِ معدلات الأُميِّة[1]، ولا يعني ذلك الانسياق وراء البرامج التعليمية الوافدة، فهي في ذاتها تعد إحدى وسائل الاختراق ومحو الهوية، وإنما المقصود التعليم الذي يستند على القيم الإسلامية الأصيلة، ويستخدم الوسائل المعاصرة التي توفرها التقنيات الحديثة.

كما يجب التركيز من خلال التربية والتعليم على إرساء مبدأ الثقة بالنفس، إذ إنه قاعدة آمنة تسمح بالتعامل مع الآخرين[2] دون خوف أو شعور بالدونية، بل قد يحدث العكس ؛ لأن الثقة في المعتقد ترتفع بصاحبها عن حد النظر بانبهار للغير.

كذلك يجب الاهتمام بمؤسسة الأسرة[3]، وإعطائها الاهتمام الذي يليق بها في مقابل ما تحارب العولمة الثقافية من أجله لتقليص دور الأسرة في مقابل تعزيز دور العولمة ووسائل الاتصال بأنواعها المختلفة.

٢ – العناية باللغة العربية[4] في وسائل الإعلام ومناهج التعليم، وتسهيل

---

(١) انظر: العولمة الثقافية وأثرها على الهوية، لخالد بن عبد الله القاسم، ص (٢١، ٢٣).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (٢٦٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (٢٦٦).

(٤) انظر في هذا الموضوع: العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية، لأحمد عبد السلام – الجامعة الإسلامية=

تدريسها، وتحبيبها للطلاب، ومن العناية باللغة العربية تفعيل التعريب والترجمة، والتقليص من التعلق باللغات الأخرى إلا في حدود الحاجة اللازمة[1].

٣ – تمكين المؤسسات الدعوية الرسمية والخاصة لتؤدي عملها الريادي في تثبيت الهوية الإسلامية وإبرازها، وفي نفس الوقت فإن لها جهدًا – أيضاً – يتعلق بالمحور الثاني (المقاومة)، فالمؤسسات الدعوية تتولى الرد على الشبهات التي ترد من أرباب الدعوات للعولمة الثقافية ونحوها، «لذا لا نستعجب من أن تكون هذه المؤسسات الخيرية أحد استهدافات العولمة، ومحاولة رميها بالإرهاب بكل طريق بمحاربة أنشطتها وتشويه سمعتها وتجفيف مواردها»[2].

ومن خلال العمل الدعوي، أيضاً، على المستوى الجماعي سواء الرسمي أو الخيري، أو على مستوى الأفراد، يجب «إبراز عالمية الإسلام وإنسانيته»[3] من خلال بيان الحِكَم التشريعية والمقاصدية للأحكام، والاطراد التشريعي، وتغطية جميع جوانب الحياة، مع واقعية الحكم، ورعايته لكافة طوائف المجتمع وطبقاته دون تمييز، وفي نفس الوقت مراعاة الفوارق دون إخلال بالعدالة، فالمساواة المطلقة قد لا تحقق مبدأ العدالة.

=العالمية، ماليزيا، والعولمة الثقافية، رؤية تربوية إسلامية، لوليد أحمد مساعدة، وعماد عبد الله الشريفين، ص (٢٥٩ – ٢٦٠).

(١) انظر: العولمة الثقافية وأثرها على الهوية، لخالد بن عبد الله القاسم، ص (٢٠).

(٢) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب على المؤسسات الإسلامية، لمحمد بن عبدالله السلومي، كتاب البيان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٣) انظر: العولمة الثقافية، رؤية تربوية إسلامية، لوليد أحمد مساعدة، وعماد عبد الله الشريفين، ص (٢٦٦).

المحور الثاني: المقاومة والمدافعة:

وذلك من خلال الاستراتيجيات الآتية:

١ – التعريف بالعولمة الثقافية، وبيان حقيقتها[١] أمام الرأي العام من جهة التركيز على أهدافها الحقيقية، وردّ الزيف والتزيين الإعلامي لها، بالإضافة إلى بيان لوازمها وأضرارها على الثقافة الإسلامية خاصة.

٢ – الاهتمام بالمجال الإعلامي، ودفع وسائل الإعلام للقيام بواجباتها في الحفاظ على الهوية الإسلامية ودعمها، فضلاً عن منع استيراد البرامج التي تهدم الهوية دون نظر أو تحميص، كما أن على الدول الإسلامية والعلماء وقادة الرأي ورجال الأعمال الضغط على وسائل الإعلام الخاصة كل بما يستطيع لمراعاة هوية الأُمَّة وقيمها[٢].

٣ – تجنُّب الرفض الانفعالي، وترديد المقولات الخطابية، «فالأصل نقد وتعرية مضمون العولمة الثقافية، وبيان آثارها على الأمة»[٣].

المحور الثالث: استثمار المتاح من آليات العولمة الثقافية:

في سبيل الوصول إلى أكبر عدد من الأفراد، عمدت حملة العولمة الثقافية إلى تشجيع وسائل الاتصال الحديث والمعاصرة، فبغير هذه الوسائل لا يمكن الوصول إلى الأفراد بيسر، ومن خلال هذه الوسائل أمكن الوصول إلى الأفراد في عقر دارهم، وأعمالهم، ووسائل المواصلات العامة والخاصة، وغيرها من الوسائل التي تعتبر عوامل تشكيل الوعي الثقافي عند المتلقي.

---

(١) انظر: العولمة الثقافية وأثرها على الهوية، لخالد بن عبد الله القاسم، ص (٢٢).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) العولمة الثقافية، رؤية تربوية إسلامية، لوليد أحمد مساعدة، وعماد عبد الله الشريفين، ص (٢٦٦).

ومع أن هذه الوسائل يمكن التحكم فيها عالمياً في مركز صنع القرار في الغرب؛ إلا أن هذه القرارات لا يمكن أن تصدر بيسر وسهولة، بل إن عمليات المراقبة والمتابعة قد تكون محل انتقاد من الشعوب الغربية أنفسها؛ ولهذا فمن الواجب استعمال المتاح من وسائل الاتصال في التعريف بالإسلام للآخرين، وتأكيد الهوية الثقافية الإسلامية، والرد على شبهات أرباب العولمة الثقافية.

وقد برز استعمال هذه الوسائل مرات متعددة أظهر فيها المسلمون تعاوناً غير مسبوق بالرغم من الضعف العام في الأُمَّة، الأمر الذي ضغط على الكثير من الحكومات لاتخاذ مواقف تتوافق مع رغبات الشعوب، ومن الأمثلة على ذلك أزمة البوسنة، يقول هنتجنتون: «في عالم اليوم أدى التحسن الذي حدث في مجالات الانتقال والاتصال إلى تفاعلات وعلاقات أكثر تكراراً واتساعاً وتناسقاً وشمولاً بين شعوب من حضارات مختلفة، ونتيجة لذلك أصبحت هوياتهم الحضارية أكثر بروزًا، الفرنسيون والألمان والبلجيك والهولنديون يتزايد تفكيرهم في أنفسهم كأوروبيين، مسلمو الشرق الأوسط يتوحدون ويهرعون لمساعدة البوسنيين والشيشان...هذه الحدود الأوسع للهوية الحضارية تعني وعياً أعمق بالاختلافات الحضارية والحاجة إلى حماية ما يميز «نحن» عن «هم»»[1].

***

(١) صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، لصامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، ص (٢١٠).

أخي الطالب/أختي الطالبة :

للاستزادة في موضوعات هذه الوحدة، انظر :

١ – العولمة الثقافية في ضوء العقيدة الإسلامية : مبارك العنزي.

٢ – الهوية الإسلامية في زمن العولمة : خليل العاني.

٣ – العولمة الثقافية، وأثرها على الهوية : للدكتور: خالد القاسم.

***

الوحدة الثامنة

الإلحاد المعاصر، ووسائل مواجهته

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على:

١ – بيان مفهوم الإلحاد المعاصر.

٢ – مناقشة اهم الأفكار التي يقوم عليها الإلحاد المعاصر.

٣ – الوعي بأهم الحقائق التي ينطوي عليها الإلحاد المعاصر.

تمهيد في تعريف الإلحاد المعاصر:

الإلحاد في اللغة يدل على المَيْل عن استقامة، يقال: أَلْحَد الرجل، إذا مال عن طريقة الحق والإيمان[1].

ويمكن تعريف الإلحاد في الاصطلاح المعاصر بأنه:

مذهب فكري فلسفي مضطرب، يتخذ من إنكار العقائد الغيبية والطعن في القطعيات الشرعية غايته لإنكار وجود الخالق تبارك وتعالى أو التشكيك فيه.

***

أبرز الشبهات التي يقوم عليها الإلحاد المعاصر وإبطالها

من أهم الشبهات التي يقوم على الإلحاد المعاصر ما يلي:

- **إنكار وجود الله سبحانه، والادعاء بأن الكون والإنسان والحيوان والنبات وجدوا صدفة[2].**

إثبات وجود الخالق تبارك وتعالى معلوم بالضرورة والفطرة، بمعنى أنه لو تُرك الإنسان بغير مؤثر أو تأثير، فإنه – بلا شك – سيعرف أن له رباً خالقاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣). فقد دلت الآيتان

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة «ل ح د». معجم العين، للخليل بن أحمد، مادة «لحد».

(٢) الموسوعة الميسرة في: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي؛ بإشراف: د. مانع الجهني (٨٠٥/٢).

على أن الله أخرج من أصلاب بني آدم ذريتهم وهم في عالم الذر، وقررهم بإثبات ربوبيته، بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم، فقالوا: بلى قد أقررنا بذلك، وهذا يعني أنَّ الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم، فكل أحد فهو مفطور على ذلك[1].

ولكن قد يوجد بعض «الشُّذَّاذ الذين أصابهم مرض في عقولهم فخرج بهم عن مزاج الفطرة المعتدلة بالنسبة لهذه العقيدة، وذلك أن العقول تمرض كما تمرض الأجسام، وحينئذ لا تؤدي وظائفها على الوجه الذي تقتضيه الفطرة المعتدلة فتميل عن الحق وتعتقد صِدْق الباطل، وشأنها في ذلك شأن مريض الصفراء يذوق العسل مُرّاً، أو شأن الأحول يرى الواحد اثنين»[2].

وهذا يدلنا على أن الإلحاد نقص في الفطرة والخِلْقة، كذلك النقص الذي يصيب البدن حين يولد الطفل مخدوجاً بنقص حاسة من حواسه، أو تشوه عضو من أعضائه[3].

إلا أن أغلب الملاحدة رغم ما هم فيه من العناد لم يستطيعوا أن يخالفوا فطرهم في القول بوجود الإله الخالق؛ لأن غاية قولهم بأن العالَم وُجِد بالصُّدفة هي أنهم اعتبروا الصُّدفة هي الإله الذي أوجد الكون ودبر شؤونه، وفي ذلك يقول الشهرستاني: «أما تعطيل العالم عن الصانع العليم، القادر الحكيم، فلست أراها مقالة، ولا عرفتُ عليها صاحب مقالة، إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية، أنهم قالوا: كان العالم

---

(١) انظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٣٠٨).

(٢) مجلة المنار: السنة الثانية، العدد (٣٣)، جمادى الآخرة ١٣١٧هـ/أكتوبر ١٨٩٩م – أمالي دينية، الدرس الخامس، ص (٥٢٤ – ٥٢٥). وانظر: الجزء الرابع، المجلد السابع، صفر ١٣٢٢هـ/مايو ١٩٠٤م – باب: السؤال والفتوى: الدليل على وجود الله تعالى، ص (١٣٨).

(٣) انظر: المرجع السابق، الجزء السابع، المجلد السابع عشر، رجب ١٣٣٢هـ/يونيو ١٩١٤م – مقال: الدين والتدين... الإلحاد والتعطيل، ص (٥٠٨).

في الأزل أجزاء مبثوثة، تتحرك على غير استقامة، فاصطكت اتفاقاً، فحصل منها العالم بشكله الذي تراه عليه، ودارت الأكوار، وكرت الأدوار، وحدثت المركبات، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، لكنه يحيل سبب وجود العالم على البخت والاتفاق، احترازاً عن التعطيل، فما عُدَّت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها على صانع حكيم، عالم قدير»[1].

ثم إن القول بأن العالم وُجِد بالصُّدفة باطل بدلالة العقول السليمة فضلاً عن دلالة الفطرة، لأن دلالة الصنعة المحكمة البادية في كل مخلوقات الله تدل دلالة قطعية على صفات الخالق الصانع الحكيم وهذا من بداهة العقول، ولذا أمرنا الله تعالى بالتأمل في الكون في غير موضع من كتابه، للاستدلال بذلك على جميل صفاته، لأن الإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علماً بخالقه ومعبوده، قال الله ﷻ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢٠ – ٢١)[2].

وفي إبطال كون العالَم وُجِد بالصُّدفة؛ يضرب الإمام ابن القيم رحمه الله مثلاً رائقاً لكل ذي حس مدرك، فيقول للجاحد لوجود الله: «ما تقول في دولاب دائر على نهر؛ قد أحكمت آلاته، وأحكم تركيبه، وقدَّرت أدواته أحسن تقدير وأبلغه؛ بحيث لا يرى الناظر فيه خللاً في مادته ولا في صورته، وقد جعل على حديقة عظيمة فيها من كل أنواع الثمار والزروع؛ يسقيها حاجتها، وفي تلك الحديقة من يلُم شعثها ويحسن مراعاتها وتعهدها، والقيام بجميع مصالحها؛ فلا يختل منها شيء، ولا يتلف

(١) نهاية الإقدام، ص (٥٦). وانظر: درء تعارض العق والنقل، لابن تيمية (١٢٨/٣).

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول، للشيخ ابن عثيمين، ص (١٩).

ثمارها، ثم يقسم قيمتها عند الجذاذ على سائر المخارج بحسب حاجاتهم وضروراتهم؛ فيقسم لكل صنف منهم ما يليق به، ويقسمه هكذا على الدوام، أترى هذا اتفاقاً بلا صانع ولا مختار ولا مدبر؟ بل اتفق وجود ذلك الدولاب والحديقة وكل ذلك اتفاقاً من غير فاعل ولا قيم ولا مدبر؟ أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان، وما الذي يفتيك به، وما الذي يرشدك اليه؟!»[1].

ويقول عالم الوراثة جون وليام كلوتس: «إن هذا العالم الذي نعيش فيه، قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة. أنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى. ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة. وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده»[2].

ومن عجائب حِكْمَة الله في تدبير الكون ما أشار إليه العلماء من أنه ولو أزيحت الأرض إلى ضعف بعدها الحالي عن الشمس، لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية، وقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول، وتضاعفت تبعاً لذلك طول فصل الشتاء، وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض. ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليها الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض أربعة أمثال، وتضاعفت سرعتها المدارية حول الشمس، ولآلت الفصول إلى نصف طولها الحالي إذا كانت هناك فصول مطلقاً، ولصارت

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/٢١٤).

(٢) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، ص (٥٢).

الحياة على سطح الأرض غير ممكنة[1]. فهل يعقل بعد ذلك أن يكون الكون وجد بالصدفة؟!.

ورحم الله الإمام أبا حنيفة رحمه الله فقد حُكي عنه أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية. فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة، تذهب، فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسو بنفسها، وتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟! فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً! فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله!![2].

- **إنكار الروح، والآخرة، والوحي، والبعث، وسائر الغيبيات.**

طرح الفيلسوف الإنجليزي ألفريد آير الفلسفة الإلحادية المعاصرة عام ١٩٣٦م حيث تقوم هذه الفلسفة على ما أطلق عليه (مبدأ التثبت)، ويعني به أن قبول أي افتراض أو مسألة يجب أن تثبتها أو تنفيها التجربة العملية أو بالمعادلات الرياضية أو القياسات المنطقية، ثم ظهرت هذه الفلسفة بلباس جديد عام ٢٠٠٦م تحت اسم (الإلحاد الجديد)، لكنها في هذه المرة ظهرت بشكر أكثر عدوانية، إذ أنه لا يساوي بين الإيمان والإلحاد من جهة عدم إمكان الإثبات التجريبي للمفاهيم العَقَدية؛ وإنما تَبَنَّى أسلوب الهجوم والانتقاص والسخرية، وكان من أشهر من انتحل هذه الفكرة البائسة المدعو ريتشارد دوكنز[3].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص (١٤).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (١/٣٥).

(٣) انظر: وهم الإلحاد، عمر شريف، ص (٢٨) بتصرف.

وإنكار هذه الأمور الغيبية بحجة عدم خضوعها للمناهج التجريبية أو المنطقية العقلية ينطوي على مغالطة منهجية، تتمثل في إقحام مناهج العلوم العقلية والعلوم المتعلقة بطبائع الأشياء في إثبات صدق الأخبار المنقولة، والتي يدخل تحتها الإخبار بحقائق الغيب، إذ المنهج المعتمد في إثبات الأخبار الغيبية هو التثبت من صدق الناقل وليس استخدام مثل هذه المناهج، فشأن ذلك كما لو أخبرتك بأني في صغري قد ابتلعت عملة معدنية، وأن والدي قام فورا بعمل بعض الإسعافات الأولية لاستخراجها وأنه نجح في ذلك. فليس أمامك وسيلة لقبول هذا الخبر أو رَدّه إلا التثبت من صدقي من خلال سؤال الوالد عن هذه الواقعة أو سؤال الناس عما إذا كنت ممن يصدقون الحديث أو لا، وليس من المعقول أن تقوم بتطبيق المنهج التجريبي الذي يعتمد على الملاحظة مرات متعددة للوصول إلى نتيجة تفيد اليقين أو الظن، أو تطبيق الأسلوب المنطقي الذي يعتمد على بناء المقدمات واستنباط النتائج، فهذا كله غير ممكن نظراً لطبيعة المسألة المبحوثة، وذلك يبين لنا أن رَفْضَ المعارف الغيبية بحجة عدم قابليتها للتحقق منها من خلال هذا المناهج يمثل خطئاً منهجياً.

واعتماد منهج التحقق من صِدْق الناقل وسيلة لقبول الأخبار الغيبية هو ذلك المنهج الذي قام عليه عِلْم «الحديث» الشريف، لتحديد الموقف من قبول أو رَدّ الأخبار التي ينقلها الرواة وينسبونها إلى رسول الله ﷺ، وقد نشأ من لوازم ذلك علم «الجرح والتعديل» وهو عِلْمٌ يبحث في عدالة الرواة وتجريحهم.

ولعل عدم صلاحية المناهج التجريبية لبحث مسائل الغيب هو الذي حمل «ألفريد آير» للتراجع عن هذه الفلسفة في خمسينيات القرن العشرين، حيث تَنبَّه إلى أنه لا يمكن تطبيق قواعد البحث المستخدمة في العلوم التجريبية التي تعتمد على الحواس

(كالكيمياء، والفيزياء) على العلوم الإنسانية (كالفلسفة والأخلاق)، وكذلك المفاهيم الدينية العقدية، ومن أمثلتها أنه لا يمكن فهم مسألة وجود الله تبارك وتعالى بمفاهيم المكان في فيزياء نيوتن أو أينشتين، لهذا كله — ولغيره — أعلن ألفريد آير مؤسس هذه الفلسفة موتها بنفسه[1]

***

حقائق حول الإلحاد المعاصر

- **نشر الإلحاد في العالم الإسلامي من أسلحة الحرب ضد الإسلام:**

لم يأل أعداء الإسلام جهداً في محاربته منذ ظهوره، وإن تعددت مظاهر عدائهم له؛ ما بين رفض للحقائق الظاهرة التي جاء بها، أو إنكار للرسالة المحمدية التي حملته إلى البشرية، أو تفضيل لغيره من الأديان الوثنية الباطلة، وهذا ليس بمستغرب بل كان مسلكاً سابقاً منهم منذ بداية الإسلام، يقول كعب بن الأشرف اليهودي زعيم بني النضير لأبي سفيان قبل إسلامه: «دينكم خير من دين محمد، فاثبتوا عليه»[2]؛ فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٥١).

وكثير من المروجين للإلحاد المعاصر في البلاد الإسلامية يعتبرون جيلاً تابعاً لهؤلاء

---

(١) انظر: وهم الإلحاد، لعمر شريف، ص (٢٨) بتصرف.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق (٤٦٨/٨)، وتفسير ابن أبي حاتم: تحقيق: أسعد محمد الطيب (٩٧٦/٣)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٤٧٧/١)، (٤٤٨/١١)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٥٦٣/٢).

المكابرين الذين فضَّلوا الوثنية على الإسلام حسداً وغلاً، وإن كانوا مدركين لحقيقة الإسلام وأنه دين الحق والعدل، ودين المنطق والعقل، بينما يقع آخرون في مصيدة الإلحاد بسبب عدم تفريقهم بين حقيقة الدين الإسلامي الذي تكفَّل الله بحفظ مصادره، وبين الديانات التي نالت منها أيدي العابثين من المصحفين والمحرفين.

ولذا يمكن تقسم الداعين إلى الإلحاد من حيث الدافع إلى قيامهم بترويج الإلحاد إلى قسمين:

الأول: قوم علموا مدى التعارض بين العقيدة النصرانية المحرَّفة وبين العقل فاعتقدوا أن الشأن كذلك في الإسلام.

الثاني: قوم يعلمون حقيقة الإسلام ولكنهم يريدون حربه والمكيدة له، وإخراج المسلمين من دينهم إلى «لا دين»، وهو الإلحاد، كما صرح بذلك بعضهم من أن هدفَهم الأساس بالنسبة للمسلمين هو إخراجهم من الإسلام، وأن هذا كافٍ في نظرهم، وذلك لأن المسلمين لا يستحقون شرف الانتماء إلى النصرانية[1].

- **مروجو الإلحاد في العالم الإسلامي مُقَلِّدة لأساتذتهم الغربيين:**

مروجو الإلحاد في العالم الإسلامي ليس لديهم رؤية خاصة، أو فكر منهجي يمكن أن ننسبهم إليه، بل جُل ما لديهم هو الترويج والإعادة لما قاله المستشرقون ومن على شاكلتهم ممن انتحل هذا الفكر المرذول من الغربيين[2]، ومن ثم تجاوز الباحثون

---

(١) انظر: التنصير الخطر الداهم، للشيخ عبد الله بن حمد الشبانة، مقال بموقع الألوكة، بتاريخ: ٢٠٠٩/٨/٢٩م.

(٢) انظر من أمثلة هذا الانتحال، وإعادة الإنتاج: ما روَّجه جلال العظم من شبه، وهي في الحقيقة ليست إلا أقوال الفليسوف الإنجليزي برتراند رسل وفرويد. انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص (٢٠٧) وما بعدها.

المسلمون المعاصرون الذين تصدوا للموجات الإلحادية كل ما يردده الإلحاديون في العالم الإسلامي ووجهوا كل طاقتهم لهدم الأساس الفكري عند مفكري الغرب باعتبارهم مصدر اللوثة الفكرية الإلحادية التي أصيب بها بعض أبناء المجتمع الإسلامي.

ويظهر ذلك جلياً في كتابات المتغربين في مجتمعنا الإسلامي حيث تجد فيها تقليداً كاملاً للملحدين الغربيين، حتى في تبني المعارك الفكرية التي شكّلت الفكر الغربي، وهي معارك لم تجد أرضا ولا سماء في العالم الإسلامي؛ لاختلاف الظروف والبيئة، واختلاف الإسلام عن النصرانية.

ومن أمثلة الجدال الذي استمر في الغرب بين رجال الدين والعلماء التجريبيين حول مصدر المعرفة، حيث كان رجال الكنيسة في الغرب يحتكرون مصدر المعرفة وينكرون كل ما يتوصل إليه العلماء التجريبيون؛ فيما عرف بالنزاع بين الكنيسة والعلم، فقد نقل المروجين للفكر الإلحادي هذه المشكلة إلى الديار الإسلامية وبنو عليها حجتهم في القول بضرورة هجر الدين، رغم أن هذه المشكلة لم يصادفها المسلمون في تاريخهم. ففي الوقت الذي أغلق فيه العقل الكنسي الغربي أبواب المنهج التجريبي، وحَرَّمَ على العلماء الاشتغال به، فتح الإسلام له أبوابه بضوابطه المعتدلة؛ ولهذا ترعرع المنهج التجريبي في العالم الإسلامي في ظل هذه العقيدة دون تعارض أو تصادم[1].

ولذلك وجدنا بعض علماء الغرب المنصفين يعترفون بفضل المسلمين في ذلك، يقول بريفولت في كتابه «بناء الإنسانية»: «لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة

(١) موقف الدعوة الإسلامية من التقدم المادي، لشوقي جبر مصلح الكيلاني — رسالة ماجستير — المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ، ص (٤٧).

العربية[1] على العالم الحديث»[2].

- **قوة التمسك بالدين الإسلامي هو الرد العملي على موجات الإلحاد المعاصر.**

إن الحُجَّة التي يثرثر بها الملاحدة والعلمانيون الغربيون والمتغربون من ربط الإسلام بتخلف المسلمين، وربط العلمانية أو الإلحاد أو النصرانية المحرفة بتقدم الغرب[3] ليست إلا سراباً بقيعة، وذلك الإسلام كان سبباً في نهضتنا، وكانت النصرانية المحرَّفة سبباً في تخلفهم.

وحتى يزيد الأمر وضوحاً؛ نطرح السؤال الآتي: هل نحن أكثر تمسكاً بالإسلام من سلفنا؟ أم كان سلفنا أكثر تمسكاً بالإسلام؟

الإجابة: أنهم كانوا أكثر تمسكاً منا به.

وهذه الإجابة تؤكد ما سبق من أن الإسلام ليس سبباً في تخلف المسلمين كما يدعي هؤلاء، لأننا لو ربطنا بين الإسلام والتخلف الحضاري للزم أن يكون السلف أكثر تخلفاً منا، ونحن أكثر تقدماً منهم، لكن الحقيقة هي العكس، فخلال أقل من قرن من الزمن امتدت دولة الإسلام من الصين شرقا إلى جبال البرنيه الفاصلة بين فرنسا وإسبانيا غرباً، وحققت من الإنجازات العلمية ما شهد به الأعداء[4].

---

(١) يعني الإسلامية، لكن المستشرقين يؤثرون استعمال العربية للتعبير عن الإسلامية في معظم كتاباتهم.

(٢) تجديد الفكر الديني في الإسلام، لمحمد إقبال، ترجمة: عباس محمود العقاد، ص (١٤٩).

(٣) قرر هذه الشبهة عدد من مُنَظِّريهم، منهم المسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا في مقالين نشرهما، ومقابلة مع مدير تحرير الأهرام لتوضيح هذين المقالين في عدد الأهرام رقم (٦٧٨٥) الصادر في ١٩٠٠/٧/١٦م في صفحتها الأولى.

(٤) انظر في انتشار الإسلام في القرون الأولى كتب التاريخ الإسلامي، ككتاب البداية والنهاية، لابن كثير، الجزء الثاني، وانظر أيضا كتاب الإسلام الفاتح، د. حسين مؤنس.

وفي المقابل نتساءل أيضاً: هل النصرانية المحرَّفة في العصور الوسطى في أوروبا كانت أكثر ظهورا أم الآن؟

بلا شك أن الدين المزيف كان أظهر في أوروبا في العصور الوسطى في الحياة السياسية والاجتماعية وغيرهما، ومع ذلك فالمتفق عليه أن أوروبا في هذه العصور كانت في ظلام دامس، وأنها لم تفق من غفلتها حتى تخلصت من النصرانية المحرَّفة، أو أعادت تشكيلها بما يتناسب مع الأهواء؛ فحينئذ حصل التقدم المادي في أوروبا، وعلى هذا فإن التمسك بالنصرانية المحرَّفة كان سبباً في تخلفهم، وتحييدها أو تقليم أظافرها كان سبباً في تقدمهم.

وينتج من هذا كله أن: **(التمسك بالإسلام كان سبباً في نهضتنا وتقدمنا الحضاري، والبُعْد عنه سبب انتكاسنا وتراجعنا).**

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للاستزادة في موضوعات هذه الوحدة، انظر:

١ – جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي – محمود عبدالحكيم عثمان.

٢ – الإلحاد وأثره في الحياة الأوربية الحديثة – صالح إسحاق بامبا صالح.

٣ – وهم الإلحاد – عمرو شريف.

٤ – صراع مع الملاحدة حتى العظم – عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

***

الوحدة التاسعة

أحكام الفتوى والاستفتاء وآدابهما وتطبيقاتهما المعاصرة

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – بيان مفهوم الفتوى، والشروط الواجب توافرها فيمن تطلب منه.

٢ – الوعي بعلامات المتأهل للفتوى.

٣ – استشعار آداب الاستفتاء.

٤ – بيان أهم القواعد المتعلقة بالإفتاء.

مفهوم الفتوى وما يتعلق بها من أحكام وآداب

أولاً: تعريف الفتوى:

«الفَتوى» بفتح الفاء، و«الفُتيا» بضمها. وهي في الصيغتين اسم لما أفتى به الفقيه، والإفتاء البيان، يقال: أفتى العالم إذا بيَّن الحُكْم، واستفتيت العالم: سألته أن يفتي، والجمع: الفتاوي بكسر الواو على الأصل، ويجوز الفتح للتخفيف[1].

أما الإفتاء في الاصطلاح فهو: «الإخبار عن الحُكْمِ الشرعي من غير إلزام»[2].

وعلى هذا فالفتوى هي عبارة عن بيان المفتي للحُكْم الشرعي في الواقعة محل النظر، وفق ما ظهر له من مقتضيات الأدلة، دون إلزام للمستفتي باتباع فتواه، وهذا القيد يظهر الفرق بين المفتي والقاضي؛ حيث إن المفتي يبين الحق للسائل دون إلزام له بالفتوى فعمله مجرد إخبار عن حُكْمِ الله، بينما القاضي يبين الحق للسائل ويحكم به؛ أي يمضيه وينفذ فهو مُفْتي وحاكم[3].

وإذا كان المفتي لا يملك قوة الإلزام شرعا، إلا أنه ينبغي على المقلِّد أن يلتزم بفتوى العالم المجتهد إذا لم يخالفه أحد، ولا يجوز له أن يتساهل بها وخاصة إذا لم يوجد أعلم منه، لأن فتوى المفتي الرباني تعتبر من باب الاجتهاد في الوصول إلى حكم الله تعالى الذي يجب العمل به، لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)[4].

---

(١) انظر: معجم المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، مادة «فتي».

(٢) انظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (١/٢٩).

(٣) انظر: الفروق، للقرافي (٤/٨٩).

(٤) انظر: تنظيم الفتوى، أحكامه، آلياته، د. محمد الزحيلي، ص (٣٦).

ثانياً: شروط مَن تُطلب منه الفتوى:

طلب الفُتيا واجب على من نزلت به نازلة يحتاج إلى بيان وجه الشرع فيها إذا كان ممن لا يملك القدرة على الاجتهاد في مسائل الشرع، وذلك حتى يتمكن من إقامة الدين على الوجه الصحيح، ولأن عمله برأيه قد يوقعه في الحرام[1]، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣) فعموم هذه الآية فيه مدح أهل العلم، وأمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وأن ذلك يخرج الجاهل من التَّبعة[2].

لكن لا يجوز سؤال غير العالم المستجمع لشروط المفتي، قال ابن سيرين رحمه الله: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»[3]، ولذا اشترط العلماء في المتصدر للإفتاء شروطاً منها:

١ – الإسلام والتكليف، فلا يمكن لأحد أن يتبوأ منصب الإفتاء إلا حين يكون مسلماً بالغاً عاقلاً.

٢ – العلم بالأحكام الشرعية؛ وذلك أنه مبلغ عن أحكام الله، والجاهل لا يبلغ، فينبغي أن يكون المتصدر للإفتاء مطلعاً على غالب أقوال أهل العلم، وعالماً بالأدلة الشرعية لما يفتي فيه، وأن يكون عنده علم بما عليه إجماع العلماء ومعرفة بأدلة التشريع التبعية من المصلحة المرسلة وسدِّ الذريعة، والقواعد الفقهية والمقاصد الشرعية ونحوها.

---

(١) انظر: كشاف القناع على متن الإقناع، للبهوتي (٦/٣٠٥)، والمجموع شرح المهذب، للنووي (١/٥٤).

(٢) انظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٤٤١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، في مقدمة الصحيح، باب: في أن الإسناد من الدين، رقم الباب (٥).

٣ – العدالة في الأقوال والأفعال، وذلك بأن يكون مستقيماً في أحواله، محافظاً على مروءته، صادقاً فيما يقوله، موثوقاً به، موصوفاً بحسن الطريقة، وسلامة المسلك، ورضا السيرة، وأن يكون ورعاً عفيفاً عن كل ما يخدش الكرامة، حريصا على استطابه المأكل.

٤ – معرفة الواقع والإلمام به، وذلك حتى لا يفتى خلاف ما عليه أمر الناس وحالهم، ومن معرفة الواقع معرفة أحوال الناس والتفطن لتصرفاتهم، وذلك لينكشف للمفتي مَكْرَ بعض المستفتين وخداعهم، فلا يغتر بظواهر ما يدْلون به فيفتيهم تبعاً لها.

٥ – رصانة الفكر وجودة الملاحظة، والتأني في الفتوى، لأن من كان ناقصاً في فهمه، أو متصفاً بالغفلة، أو معروفاً بالعجلة في فتواه والتسرع بالإجابة عمّا يسأل عنه كان فاقداً لأسباب التوفيق في صحة الجواب على الفتوى، كما يجب تغليب الورع في بعض القضايا كمسائل العقيدة أو الأمور العامة التي تتطلب نظراً واسعاً، وأن يقف عند ما ورد في شأنها من نصوص، ويتحرى عند التنزيل أن يكون في محله الصحيح.

٦ – أن يسلك الطريق المستقيم والمنهج السليم في الفتوى، فيفتي في القضية حيث ظهر له أنه جوابها، دون أن يسلك طريقاً معوجاً يحتال به على إسقاط واجب، أو تحليل محرَّم أو نحو ذلك[1].

فإذا كانت هذه الشروط في حقه موجودة متوافرة جاز له أن يفتي الناس في أمورهم، والتجزؤ في ذلك جائز بمعنى: بأن يجتهد الإنسان في مسألة من مسائل العلم

(١) انظر: المفتي في الشريعة الإسلامية، للدكتور عبدالعزيز الربيعة، بحث منشور بمجلة البحوث الإسلامية، (١/١٥٧) وما بعدها.

فيبحثها ويحققها ويكون مجتهداً فيها، أو في باب من أبواب العِلْم خاصة[1].

ثالثاً: القول على الله بغير عِلْمٍ كبيرة من كبائر الذنوب:

العلم دين، والفتوى تنزيل لهذا الحكم من الدين، ويجب على الإنسان أن يتقيد في دينه بما أوجب الله عليه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٣)، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: «فجعل سبحانه القول عليه بغير علم في القمة من مراتب المحرمات؛ لأن هذه الآية فيها الترقي من الأدنى إلى ما هو أشد منه فانتهى إلى الشرك ثم القول على الله بغير علم، وبهذا يعلم خطر القول على الله بغير علم، وأنه من المنكرات العظيمة والكبائر الخطيرة لما فيه من العواقب السيئة وإضلال الناس»[2]، وقال ﷺ: (من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)[3].

فيجب على طالب العلم أن يتقي الله ويكون عليه زاجر من نفسه، كي لا يتصدى لما ليس له بأهل، فيضل به المستهدي ويزل به المسترشد[4].

ولا حرج على من لا علم له إذا سُئل عما لا علم له به أن يقول: لا أعلم، فالملائكة لما قال الله عز وجل لهم: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣١ – ٣٢).

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شأن من يستعجل على الفتيا عند فقدان

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٤٠٨/٢٦، ٤٢٧).

(٢) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٨١/٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم الحديث (١٠٩).

(٤) الأحكام السلطانية، للماوردي، ص (٢٨١).

العالم: «هذا خطأ ولا يجوز، فالواجب أن يقول للمستفتي: اسأل العلماء»[1].

ويجوز لطالب العلم الذي لديه علم من الفقه بمسألة من المسائل ويستحضر ما قاله العلماء فيها، أن يفتي بها ما دام ملماً بأحكامها ولم يوجد من يفتي السائل غيره، بأن كان الأمر يحتاج إلى السرعة في إبداء الرأي الشرعي، ولكن بشرط أن يكون الشخص حينئذ متيقناً من أن الصورة التي أفتى عليها العالم هي الصورة ذاتها التي سينقل الفتوى إليها، وجواز ذلك مراعاة للحاجة، ويجب على الناقل حينئذ أن يقول: قال: فلان كذا وكذا، دون أن ينسب الفتوى إلى نفسه، لأنه راوٍ ينقل الفتوى، ولأن المقلِّد ينبغي له أن ينسب القول إلى من قلَّده لا إلى نفسه، بخلاف الذي يستدل على حكم المسألة من الكتاب والسُّنَّة وهو من أهل الاستدلال فلا بأس أن يفتي ناسباً الرأي إليه[2].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «إذا سألك أحد عن مسألة وأنت تعلم حكمها من الكتب الموثوق من مؤلفيها، أو الأشرطة الموثوق بقائلها، أو من برنامج... أن تخبره بالحُكْم الشرعي؛ لأنك الآن تعلم هذا الحُكْم، وإلا كنت داخلاً في الذين يكتمون العلم»[3].

رابعاً: آداب الاستفتاء وأحكامه:

١ – يجب على المستفتي أن يجتهد في الوصول إلى من يثق بعلمه حتى يستفتيه في نازلته، يقول الإمام النووي رحمه الله: «يجب عليه قطعاً البحثُ الذي يعرف به أهلية من

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢٦/٣٩٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٦/٤٠٩).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢٦/٤١٣).

يستفتيه للإفتاء إذا لم يكن عارفا بأهليته، فلا يجوز له استفتاء من انتسب إلى العلم وانتصب للتدريس والإقراء وغير ذلك من مناصب العلماء بمجرد انتسابه وانتصابه لذلك، ويجوز استفتاء من استفاض كونه أهلاً للفتوى»[1].

٢ – يجب على المستفتى أن يبين عن مسألته والظروف التي تكتنفها، لأن الفتوى تتغير بذلك، وأن لا يخفى شيئاً مما يتعلق بمسألته حتى يكون الحُكْم منزَّلاً على عين الحقيقة الواقعة.

٣ – لا يجوز للمستفتى بحال أن يتعرض لغيره بالهمز أو اللمز من خلال ما يسأل عنه، كما لا يجوز له أن يذكر أسماء أحد في سؤاله، سواء كان هؤلاء أناساً كان لهم موقف معه، أو مفتين أجابوه قبل ذلك[2].

٤ – لا ينبغي للإنسان إذا استفتى عالماً واثقاً بقوله أن يستفتي غيره؛ بحيث يسأل فلاناً، فإن لم يناسبه سأل الثاني، وإن لم يناسبه سأل الثالث وهكذا، لكن أحياناً يكون الإنسان ليس عنده من العلماء إلا فلان مثلاً، فيسأله من باب الحاجة، وفي نيته أنه إذا التقى بعالم أوثق منه في علمه ودينه سأله، فهذا لا بأس به، أن يسأل الأول للحاجة، ثم إذا وجد من هو أفضل سأله[3].

٥ – إذا اختلف العلماء على الشخص في الفتيا أو ما سمعه من دروس ومواعظ، فإنه يتَّبع من يراه أقرب إلى الحق في علمه ودينه، ويجتهد في ذلك قدر استطاعته حتى

---

(١) آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، ص (٧١).

(٢) انظر: ميثاق شرف للعمل في مجال الفتوى في المواقع الإسلامية، د. عبد الفتاح محمود إدريس، منشور في العديد من المواقع منها موقع: رسالة الإسلام.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٣٨٩/٢٦).

تبرأ ذمته، لأن هذا متعلق بالدين، فيجب عليه الحرص وتحري الصواب فيه.

فإذا لم يستطع جاز له تقليد أي منهم متى كان الشخص غير قادر على أن يأخذ الحق بدليله، ووثق بمن اختار قوله[1].

خامساً: قواعد مهمة تتعلق بالفتوى:

١ – لا حرج في رجوع المفتي عن فتواه إذا ظهر له فيها رأي آخر:

قد يستهجن بعض الطلاب رجوع العالم عن فتواه، أو يقللون من قدره إذا كان اجتهاده فيها أدَّى به إلى قول ثم بدا له فيها بعد البحث والمناقشة خطأ اجتهاده الأول، وليس في ذلك ما يحمل على شيء من هذا، فربما يحصل العالم على علم أكثر مما كان عليه من قبل فيزداد بذلك علمًا، وربما يظهر له من معاني الكتاب والسُّنَّة ما لم يكن قد ظهر له من قبل، وهذا أمر مشاهد حتى في البلد الواحد، فإن الإنسان يظهر له بعض الأحيان أكثر مما سبق وذلك بالمناقشة وإبداء الآراء يتغير الإنسان عن رأيه الأول. وكذلك أيضاً من العلم فكلما ازداد علماً ازداد معرفة بالأحكام الشرعية.[2]

٢ – قد تختلف الفتوى المعاصرة عما هو موجود في كُتب المذاهب المتقدمة:

ويحصل ذلك بكثرة إذا كانت الفتوى المتقدمة روعي فيها المصلحة أو العُرْف أو بُنِيَت على معارف العصر أو سُد بها ذريعة إلى محرَّم؛ فإنَّ تَغيُّر شيء مما بنيت عليه الفتوى المتقدمة يوجب إعادة النظر فيها، وذلك لأن الحكم الشرعي إذا عُلِّق بعلة فإنه إذا وجدت فيه العلة ثبت الحكم الشرعي، وإذا لم توجد لم يثبت الحُكْم الشرعي[3].

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١)، (٥/٢٨، ٣٣).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢٦/٤٢٣).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٢٦/٣٩١).

يقول ابن القيم رحمه الله: «الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها. لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرَّمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها. فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة»[1].

ومن ثمَّ يجب على الشباب المسلم أن يكون على وعي بأمثال هذه المسائل حتى لا يسارعوا في تخطئة العلماء دون علم بما بنوا عليه فتاويهم.

٣ – ليس كل اختلاف في فتاوى العلماء اختلاف مذموم:

الاختلاف في الفروع ليس بمذموم متى كان صادراً عن نية خالصة واجتهاد، لا عن هوى وتعصب؛ لأنه وقع في عهد النبي ﷺ ولم ينكره حيث قال في غزوة بني قريظة: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يَرِدْ منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ، فلم يعنف واحداً منهم.[2]، وهذا يدل على أن كل واحد محمود على ما قال؛ لأنه مجتهد فيه مريد للحق فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد لا يصيب الحق، كما أن هذا الحديث يبين لنا أن الاختلاف كان موجوداً في الصحابة وهم خير القرون، وهو اختلاف محمود لا يورث عداوة، ولا

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٣٣١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب صلاة الخوف، باب: صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، رقم الحديث (٩٤٦).

بغضاء، ولا تفرق كلمة بخلاف الاختلاف في الأصول[1].

ولاختلاف العلماء أسباب متعددة، منها الاختلاف في فهم الحديث، أو عدم بلوغ الحديث لبعضهم، وقد يكون لاختلافهم في الترجيح عند تعارض الأدلة، إلى غير ذلك من الأسباب المبسوطة في مظانها، ومن ثمَّ يجب على المسلم أن يحسن الظن بالفقهاء، فكل واحد منهم مجتهد فيما صدر منه من الفقه، طالب للحق، فإن كان مصيباً فله أجران: أجر اجتهاده وأجر إصابته، وإن كان مخطئاً فله أجر اجتهاده، وخطؤه معفو عنه.

٤ – حُرْمَة تتبُّع الرُّخص:

يقصد بتتبع الرخص: أن يَختار مِن كُلِّ مَذهبٍ فقهي الأهونَ عليه[2].

والرُّخص قسمان:

- رُخص شرعية ثابتة بالكتاب أو السُّنَّة، كالقَصْر والجَمْع في السفر، وأكل الميتة عند الاضطرار، فهذه يستحب الأخذ بها إذا وجد سببها، بل قد يجب وذلك بحسب الحال.

- رُخص فقهية نتيجة اختلاف المذاهب والعلماء في الأحكام والتنزيل، وهذا القسم هو المقصود.

حكم تتبع الرخص:

- إذا كان لهوى في نفس الشخص وعبث منه، فهو محرَّم بالإجماع، يقول الشاطبي رحمه الله: «إذا صار المكلَّف في كل مسألة عنَّت له يتبع رُخص المذاهب وكل

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٥/٩٤).

(٢) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي (٨/٢٨١).

قول وافق فيها هواه؛ فقد خلع ربقة التقوى، وتمادى في متابعة الهوى، ونقض ما أبرمه الشارع وأخَّر ما قدمه»[1].

- إذا كان بقصد الحصول على الأيسر والأسهل بالنسبة له، من دون ضرورة أو حاجة، فإنه أيضاً محرم عند جمهور أهل العلم، وإذا كان هذا منهجه في أحكام الدين كافة عُدَّ فاسقاً، يقول الإمام أحمد رحمه الله: «لو أن رجلاً عمل بكل رخصةٍ لكان فاسقاً»[2].

- أما أذا كان للضرورة والحاجة الملحة، ولم يكن ذلك متكرراً منه، فإنه يجوز بحسب هذه الضرورة والحاجة[3].

***

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

للاستزادة في موضوعات هذه الوحدة، انظر:

١ — الفتوى، خطرها، وأهميتها، مشكلاتها في العصر الحاضر: ناصر الميمان.

٢ — فقه النوازل، دراسة تأصيلية تطبيقية: محمد بن حسين الجيزاني.

٣ — منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة: مسفر القحطاني.

***

---

(١) الموافقات (١٢٣/٣).

(٢) تنوير بصائر المقلدين، ليوسف بن مرعي الكرمي، ص (٢٩٧)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٢٠/٢٠) المستدرك على مجموع فتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥٨/٢)، والبحر المحيط، للزركشي (٢٨١/٨).

(٣) انظر: مراقي السعود، للشنقيطي، ص (١٠٦).

القسم الرابع

قضايا معاصرة متعلقة بالدعوة والتطوع

الوحدة العاشرة

الأقليات الإسلامية وواجبات الدول والمجتمعات الإسلامية نحوها

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – معرفة مفهوم الأقليات الإسلامية ، وبيان أسباب ظهورها في العصر الحديث.

٢ – بيان حكم إقامة الأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمين.

٣ – استشعار واجبات المجتمعات المسلمة تجاه الأقليات الإسلامية ، وواجبات الأقليات المسلمة في المجتمعات التي يقيمون فيها.

تعريف الأقليات، وبيان أسباب ظهورها في العصر الحديث

أولاً: العالم الإسلامي:

الإسلام دين عالمي واسع الانتشار، وهو يمتد من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وهذه الأبعاد لا تقل عن نصف مساحة العالم القديم، أو ما يعادل نصف دورة من دورات الليل والنهار[1].

ويقدر عدد الدول الإسلامية بـ (٦٠) دولة على وجه التقريب، ثلاث منها في قارة أوربا، والبقية موزعة بالتساوي تقريباً بين آسيا وأفريقيا، وفي المقابل توجد دول غير إسلامية بها أقليات إسلامية؛ تتراوح أحجامها بين الأقليات الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، وتتفاوت أعدادها ما بين ثلث السكان كما في بعض دول غرب أفريقيا، والعشر كما في الهند وبلغاريا، أو أقل من ذلك كما في دول أمريكا اللاتينية[2].

ثانياً: تعريف الأقليات:

يقصد بالأقليات الإسلامية[3]: **مجموعة من المسلمين يعيشون في دولة غير إسلامية.**

---

(١) انظر: العالم الإسلامي المعاصر، د. جمال حمدان، ص (١٤، ١٥).

(٢) انظر: المرجع السابق ص (٨٦، ١١٠).

(٣) الأقليات المسلمة منتشرة في كثير من بلدان العالم غير الإسلامية، وأعدادهم في تزايد مستمر بفضل الله، وتحوي الهند أكبر أقلية مسلمة في العالم حيث يتجاوز عدد المسلمين فيها (١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ مليون مسلماً)، ويزيد عدد المسلمين في أوروبا على خمس وخمسين مليون مسلم، وفي الولايات المتحدة سبعة ملايين مسلم، لكن ينبغي الإشارة إلى أن هذه الأرقام وغيرها لا تمتلك الدقة التي تعبر بها عن الواقع كما هو بل تظل أعداد تقريبية. انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، د. أحمد محمود الساداتي (١/١٣)، والمسلمون في أوروبا وأمريكا، لعلي بن المنتصر الكتاني، ص(٨٤) و(٣٢٥)، والعالم الإسلامي المعاصر، د. جمال حمدان، ص (١٢)، وتنظر المواقع الالكترونية الخاصة ببيان أعداد المسلمين في دول العالم.

ولا فرق بين كون هذه المجموعة المسلمة من أصل الدولة التي تعيش فيها، أو أنها هاجرت إليها، وحصلت على جنسيتها، أو حق الإقامة الدائمة فيها، لأن هذه الأوصاف غير مؤثرة أيضا في اعتبار الجماعة أقلية، وإن كانت مؤثرة في طريقة تعامل الدولة معهم.

ولا يشترط في الأقليات المسلمة أن تكون مضطهدة أو غير ذلك، أو منظمة أو غير منظمة؛ فكل هذه الأوصاف لا تؤثر في اعتبار الجماعة أقلية مسلمة، لأن هذه الأقلية إن كانت مضطهدة وجب تقديم العون لها لرفع الجور عنها، وإن كانت غير مضطهدة وجب دعمها أيضاً حتى لا تتدهور أحوالها، كما أنها لو كانت غير منظَّمة وجب دعمها حتى تتحول إلى مجتمع منظم.[1]

ثالثاً: أقسام الأقليات المسلمة وأسباب ظهورها[2]:

يمكن تقسيم الأقليات المسلمة باعتبار سبب تكوينها إلى قسمين:

القسم الأول: أقليات تكونت بسبب تنامي أعداد المسلمين

ويُقصد بها تلك الأقليات التي ظهرت في بعض الدول غير الإسلامية بعد أن لم تكن موجودة فيها من قبل، أو كانت موجودة دون أن يكون لها تأثير في المجتمع الذي تعيش فيه، ويرجع ذلك إلى أسباب متعددة منها:

١ – الدخول في الإسلام من رعايا الدول غير الإسلامية.

٢ – هجرة بعض المسلمين إلى دولة غير إسلامية، لأي سبب كانت الهجرة.

---

(١) انظر: الأقليات الإسلامية في العالم اليوم، لعلي المنتصر الكتاني، ص (٦).

(٢) انظر: الأحكام السياسية للأقليات المسلمة في الفقه الإسلامي، د. سليمان محمد، ص (٣٠).

القسم الثاني: أقليات تكونت بسبب تغير الأوضاع السياسية في منطقتهم:

ويُقصد بها تلك الأقليات التي لم تكن موصوفة بذلك من قبل، وإنما سرى إليهم الوصف بالأقلية بسبب حدوث تغيرات في الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة، مما يحدث تغيرا في حدود الدول ومن ثم يتحول بعض المسلمين إلى أقلية بعد أن لم يكونوا كذلك.

ومن الأسباب التي أثرت عبر التاريخ في إحداث مثل هذه التحولات ما يأتي:

- اضطهاد المحتل للمسلمين، رغبة منه في القضاء على ما بقي من نفوذ دولتهم المحتلة، ومثال ذلك: المسلمون في شبه القارة الهندية حيث عمل الاحتلال على تقويض آثار الدولة الإسلامية المغولية التي كان لها نفوذاً قوياً في شبه القارة الهندية وما جاورها من بلدان، فقاموا بتوطين العنصر الهندوكي وتمكينه من إدارة البلاد، ومارسوا صنوف الاضطهاد والتهميش على المسلمين حتى أصبح الهندوك هم القادة وأصحاب النفوذ وأمسى المسلمون أقلية في بلادهم [1].

- محاولات محو الدين الإسلامي من مجتمع مسلم أو طَمْسه، ومن ذلك حالات التنصير القسري التي مارست الاضطهاد الديني وأثرت في تقليل أعداد المسلمين، حتى لم يبق منهم إلا قليل من المستخفين خوفاً من الاضطهاد، كما حدث لمن بقي من المسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة.

- عمليات التهجير القسري، بحيث يتحول الشعب المسلم إلى أقلية فعلية، كما فعل الاتحاد السوفيتي في القِرم عام ١٩٤٦م، حيث تم تهجير الشعب المسلم القِرمي

---

(١) للمزيد عن الدولة المغولية في الهند، انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، د. أحمد محمود الساداتي (٢/٢٩٧).

إلى سيبيريا وإحلال الروس محلهم، حتى إنه لم يبق بالقرم إلا من استطاع أن يفلت من هذه الهجرة القسرية، فأثر ذلك في وضع المسلمين في هذه المنطقة.

وأيا ما كان سبب التكوين فإن وجود الأقليات المسلمة في دول العالم أصبح ظاهرة تحتاج إلى الدراسة، وإلى استشعار المجتمعات الإسلامية بالواجب الديني والاجتماعي – على الأقل – تجاه هذه الأقليات التي أصبحت تمثل جزءاً كبيراً من أعداد المسلمين في العالم[1].

***

حكم إقامة الأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمين

أولاً: أحكام الهجرة إلى بلاد الإسلام:

يقصد بالهجرة؛ مفارقة بلد الكفر إلى بلد الإسلام للحفاظ على الدين[2].

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١٠٠)، أما حصول العكس هو الانتقال من بلد الإسلام إلى بلد الكفر فإنه لا يطلق عليه هجرة وإنما يُسمَّى إقامة، وذلك لأنها مؤقتة وتكون بهدف الرجوع إلى بلد الإسلام بعد استقرار الحال فيه، أو زوال العارض الذي عرض للمنتقل[3].

---

(١) انظر: الأقليات المسلمة في آسيا واستراليا، لسيد عبد المجيد بكر، ص (٦).

(٢) انظر في تعريف الهجرة: الكليات، للكفوي، ص (٦٩٢)، والتعريفات، للجرجاني، ص (٢٥٦).

(٣) عرف الفقهاء وطن الإقامة بأنه: «البلد الذي نوى فيه الاقامة مدة لا يصح له فيها قصر الصلاة، من غير أن يقيم إقامة دائمة فيه». معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، ص (٥٠٦).

والهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من تجب عليه الهجرة، وهو من توفر فيه الشرطان الآتيان:

١ — ألا يمكنه إظهار دينه، بإقامة الواجبات الشرعية حال المقام بين الكفار.

٢ — أن يقدر على الهجرة، ويتضمن ذلك القدرة الحسية والنظامية.

فهذا تجب عليه الهجرة؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧). فهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

القسم الثاني: من تستحب له، ولا تجب عليه، وهو من يقدر عليها لكنه يتمكن من إظهار دينه في دار الكفر، فتستحب له؛ ليتمكن من تكثير المسلمين، ومعونتهم، ويتخلص من تكثير الكفار، ومخالطتهم، ورؤية المنكر بينهم، ولا تجب عليه؛ لإمكان إقامة واجب دينه بدون الهجرة.

القسم الثالث: من لا هجرة عليه، وهو من يعجز عنها، إما لمرض، أو إكراه على الإقامة، أو ضعف؛ من النساء والولدان وشبههم، فهذا لا هجرة عليه؛ لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: ٩٨ — ٩٩) ولا توصف باستحباب؛ لأنها غير مقدور عليها[1].

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٩/٢٩٤ — ٢٩٥).

ثانياً: حكم الإقامة في البلاد غير الإسلامية:

اشترط الفقهاء لجواز إقامة المسلم في المجتمعات والدول غير الإسلامية ما يأتي:

الشرط الأول: أمن المقيم على دينه؛ بحيث يكون عنده من العلم والإيمان وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه، والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مُضْمراً لعداوة الكافرين وبغضهم، مبتعدا عن موالاتهم ومحبتهم، لأن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان، ومن أعظم ما يكون خطراً على المسلم؛ فالمحبة تستلزم موافقتهم والسير على منهاجهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم.

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه؛ بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يُمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة، ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ[1].

***

واجبات المجتمعات المسلمة تجاه الأقليات الإسلامية

أولاً: أهمية التعاون بين مجتمعات الأُمَّة الإسلامية وأقلياتها:

إن مدَّ يد العون إلى المسلمين في شتى ربوع الأرض ضرورة إسلامية وواجب شرعي تحتمه الأخوة الإسلامية، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢)، ولعموم الأحاديث

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل، للشيخ ابن العثيمين (٢٦/٣).

التي لا تُفرِّق بين مسلم ومسلم آخر بسبب الموطن، وتعتبر الرابطة الإسلامية فقط، ومن ذلك قوله ﷺ: (من صلّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته)[1]، ولقوله ﷺ: (مثل لمؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[2]، ولقوله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا، ثم شبّك بين أصابعه...)[3].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: «يجب على الأُمَّة القوية في مالها أو رجالها أو سلاحها أو علومها أن تمد الأمة المستضعفة، وأن تعينها على الحفاظ على نفسها ودينها وتمنع عنها الذئاب من حولها المتسلطة عليها، وأن تؤتيها من مال الله الذي آتاها فهذا هو مقتضى الأخوة الإسلامية التي عقدها الرب سبحانه بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها»[4].

ثانياً: أوجه دعم الأقليات المسلمة في الأحوال العادية

تختلف أوجه العون التي يمكن تقديمه للأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة، رقم الحديث (٣٩١).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأب، باب: رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث (٦٠١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث (٢٥٨٥) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم الحديث (٤٨١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث (٢٥٨٥).

(٤) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (١٦٢/٢).

باختلاف احتياجات هذه الأقليات وأحوال العلاقة بين بالدول التي يقيمون فيها بالمجتمعات الداعمة لهم، وفيما يأتي بيان ذلك[1]:

- **إنشاء جهة بحثية رقابية تنفيذية لمتابعة أحوال الأقليات المسلمة يكون من وظائفها: إعداد دراسات متخصصة عن أحوال الأقليات في كل دولة، ومتابعة التغيرات التي** تطرأ على هذه الدراسات.

- **البعثات الدعوية**: وهي من أهم الوسائل التي يعتمد عليها في تعريف هذه الأقليات بأحكام دينها، ودفع الشبهات التي تثار حولها.

- **توثيق الصلة بين المبتعثين** بغرض الدراسة إلى الدولة التي تعيش فيها الأقلية المسلمة، وبين هذه الأقليات، بحيث يكون هؤلاء المبتعثون همزة وصل بين المجتمعين؛ المسلم والأقلية المسلمة.

- **إنشاء وسائل إعلام محلية متخصصة في أحوال الأقلية المسلمة**: بحيث تهتم بأحوال الأقلية المسلمة، ومشكلاتها، وتعرضها على العالم الإسلامي، وتبينه للمجتمع الدولي لفهم هذه المشكلات وتكوين ضغط دولي يسهم في حلها.

- **التعليم**: ويتم ذلك بمنح أبناء الأقلية المسلمة مِنحا دراسية في الجامعات والمعاهد المحلية، أو إنشاء الجامعات والمعاهد التي تعتني بالعلوم الشرعية في بلادهم، والإشراف عليها من الدول الإسلامية.

- **إنشاء المراكز الإسلامية**، والاهتمام بالنواحي الاجتماعية للمراكز الحالية.

ثالثاً: نصرة الأقليات في الظروف غير العادية:

إذا تعرضت الأقلية المسلمة في إحدى الدول لحالات اعتداء فردية أو جماعية

---

(١) انظر: الأحكام السياسية للأقليات المسلمة في الفقه الإسلامي، د. سليمان محمد، ص (١٦٢).

وجب على المجتمعات الإسلامية التي ترتبط بمعاهدات مع هذه الدول أن تبذل كل جهد ممكن في الانتصار للأقلية المسلمة المعتدى عليه، مستخدمة كل الوسائل المتاحة لإنقاذهم، ورفع الضَّيم عنهم[1]، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٢).

ويشترط لذلك ثلاثة شروط، هي:

١ – أن يطلب المسلمون المعتدى عليهم النصرة؛ لأنهم أقدر على تقدير الحال، وخطورة الاعتداء.

٢ – أن يكون موضوع النصرة دينياً، لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾.

٣ – ألا تكون بين الدولة المسلمة والدولة التي تقيم فيها الأقلية المسلمة معاهدة توجب الكَفّ عن القتال، قال تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾[2].

وإذا لم تستطع الدولة الإسلامية الانتصار للأقلية المسلمة فإنه يمكن أن تكون النصرة من خلال ما يأتي:

- تسهيل طريق الهجرة إلى دار الإسلام لمن يقع عليه الاعتداء، لاسيما إذا كان الخوف عليهم يتعلق بأمر ديانتهم، أو خشية إبادتهم، أو الاعتداء على أعراضهم وأموالهم، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٤١٣)، والأحكام السياسية للأقليات المسلمة في الفقه الإسلامي، د. سليمان محمد، ص (١٦٣ – ١٦٩).

(٢) ينظر تفسير الآية من تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٣٢٧).

- فتح الطريق لمساعدتهم على المستوى الفردي، وعدم منع الأفراد من تقديم المساعدة لهم، إلا إذا كان يعود على الدولة الإسلامية بضرر واضح.

- تهيئة الأمور والإعداد لتحقيق القدرة على ردِّ الاعتداءات عن الأقليات المسلمة.

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للاستزادة في موضوعات هذه الوحدة، انظر:

١ – الأقليات الإسلامية وما يتعلق بها من أحكام في العبادات والإمارة والجهاد، محمد بن درويش بن محمد سلامة

٢ – سلسلة الأقليات المسلمة في العالم، سيد عبد المجيد بكر.

***

الوحدة الحادية عشرة

وسائل الدعوة في الخارج، وجهود المملكة فيها

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – بيان أقسام وسائل الدعوة في الخارج وتطبيقاتها.

٢ – استشعار جهود المملكة في الدعوة بالخارج.

٣ – ممارسة هذه الوظيفة العظيمة بالوسائل المشروعة حسب الاستطاعة.

٤ – ابتكار وسائل دعوية أخرى حسب التخصص العلمي والمهنة الوظيفية.

أقسام وسائل الدعوة وتطبيقاتها

أولاً: أقسام وسائل الدعوة:

وسائل الدعوة هي: الطرائق المشروعة التي يتوصل بها الداعية إلى تبليغ دعوته سواء كانت معنوية أو مادية[1].

والصحيح أن وسائل الدعوة غير محصورة بل هي شاملة لكل ما يحقق غاية تبليغ الدعوة من الوسائل القديمة أو الحديثة[2]، فكم من وسيلة ظهرت قام العلماء والدعاة باستخدامها وكان لها الأثر الواضح في تبليغ دين الله، وإن كانت غير معروفة من قبل.

وأمَّا ما تم إنكاره من الوسائل فبسبب ما ظهر من مفسدته، أو عدم مشروعيته.

ويجب أن تكون الوسائل الدعوية مشروعة وأن تكون أهدافها كذلك[3]، ومعنى هذا أنه مهما ظهر من وسائل، ومهما أمكن من ابتكار طرق في الوصول إلى المدعو، فهي آليات للدعوة مقبولة ومشروعة ما دامت لا تشتمل على مخالفات أو مفاسد.

تقسيم الوسائل الدعوية:

تنقسم وسائل الدعوة إلى أقسام متعددة، من أبرزها: تقسيمها إلى وسائل عادية معروفة، لا تتغير بتغير الأزمان والأمصار، وإلى وسائل مبتكرة.

وقد تكون الوسائل المبتكرة خادمة للوسائل العادية، وذلك كإذاعة محاضرة على غرفة البالتوك؛ فإن المحاضرة من الوسائل العادية، أما إذاعتها بالبالتوك فهو وسيلة

---

(١) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، لسعيد القحطاني، ص (٥٤).

(٢) ممن ذهب إلى أن وسائل الدعوة اجتهادية، تراعى فيه مصلحة الدعوة مما لا يخالف الشرع: فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله. انظر: لقاء الباب المفتوح اللقاء، رقم (١٥).

(٣) انظر: معلمة القواعد الفقهية والأصولية، لأحمد الريسوني آخرون (٣٧٩/٤).

مبتكرة، لكنه وسيلة مساعدة للوسيلة الأساسية.

ويمكن إجمال مرجع هذه الوسائل في ثلاثة أقسام هي؛ الدعوة بالقول والكتابة، والدعوة بالعمل، والدعوة بالقدوة الحسنة[1]. وبما أن هذه الوسائل تشترك فيها الدعوة إلى الله في الداخل وفي الخارج، فنذكرها مبينين ما يختص بالوسائل المتعلقة بالدعوة في الخارج.

القسم الأول: الدعوة بالقول والكتابة:

القول هو الأصل في وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وهو الوسيلة الأولى والأصيلة في إيصال الحق إلى المدعوين[2]، وللقول في مجال التبليغ أنواع متعددة منها:

- اللقاءات العامة: كإقامة المحاضرات، والندوات، والمناقشات، والدروس في المساجد، والجامعات، وغيرها.
- اللقاءات الخاصة: كالدروس الخاصة بطلاب العلم.
- الدعوة الفردية: بالنصيحة المباشرة بين الداعية والمدعو.
- الكتابة: ويشمل ذلك؛ الرسالة، والمقال، والكتاب، والنشرة، وغيرها.
- التبليغ بالقول عبر وسائل الإعلام الحديثة المسموعة، والمرئية، والمقروءة.
- التبليغ عبر وسائل الاتصال المباشرة كالهاتف والبرامج التابعة له...[3].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ص (٤٧٠)، والحكمة في الدعوة إلى الله، لسعيد القحطاني، ص (١٢٧).

(٢) انظر: أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ص (٤٧٠)، والتدرج في دعوة النبي ﷺ، لإبراهيم المطلق، ص (٥٩).

(٣) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، لسعيد القحطاني، ص (١٢٧ – ١٢٨).

ما يختص بالدعوة في الخارج من وسيلة التبليغ بالقول والكتابة:

١ – **البعثات الدعوية**: تنقسم هذه البعثات من جهة زمن وجودها بالخارج إلى بعثات مقِيمة، وبعثات مؤقتة، وتنقسم بحسب الجهة المنظمة إلى بعثات رسمية، وبعثات غير رسمية.

٢ – **قيام المبتعثين للدراسة بمسئولية الدعوة**: من المهم للمبتعث أن يقوم بما أوجب الله عليه من تبليغ دين الله بالتي هي أحسن حسب قدرته وعلمه، ولذلك فوائد متعددة، فهو من جهة من وسائل حفظه، وإعداده علميا ووجدانيا للعيش في البيئات غير الإسلامية، ومن جهة أخرى فإنه يزيد حركته وسط الطلبة، وفي المعاهد والجامعات الأجنبية، ويؤهله للقاء عدد كبير من المدعوين الذين يمكن أن يعرض عليهم الإسلام، أو على الأقل يزيل سوء الفهم الناتج عن الدعاية المضادة للإسلام، ومن جهة ثالثة تكاليفه قليله فهو لا يكلف نفقات سفر خاصة أو سكن خاص.

٣ – **إنشاء وسائل إعلام باللغات المحلية**: ولها تأثير كبير في نفس المدعو؛ لأنها تكسر الحاجز المتوقع بينه وبين من يقوم بدعوته.

٤ – **عمل مواقع تفاعلية على شبكة الإنترنت** يكون من مهمتها التفاعل مع الجمهور الخارجي المدعو.

٥ – **استقدام المدعو**: وذلك بعمل دعوات لاستضافة المدعو، وعمل لقاءات له مع الدعاة، وعمل جولات على بعض المراكز الإسلامية المتخصصة، ويعد الحج من وسائل الاستقدام الدائمة للمدعوين المسلمين؛ إذ يمكن استغلال هذا التجمع الضخم لكل هؤلاء المسلمين من كل أنحاء العالم بالتثقيف، والتوعية بالعقيدة الصحيحة، والرد على الشبهات.

٦ – **مضاعفة جهود السفارات والقنصليات الإسلامية بالخارج:** حيث يمكن أن تقوم هذه المؤسسات الدبلوماسية بأعمال كبيرة في التعريف بالإسلام وقضاياه، فضلاً عن تسهيل عمل الدعاة داخل البلد الأجنبي، وإمدادهم بالتقارير اللازمة التي تعينهم على فهم طبيعة البلد التي يعملون فيها، وبيان المحظورات في ذلك.

٧ – **إنشاء المراكز الإسلامية**، وزيادة الأعمال الاجتماعية للمراكز الحالية.

٨ – **تأهيل أفراد الأقليات للعمل الدعوي الفردي**، بدورات تثقيفية وتعليمية، والانخراط في المجتمع.

٩ – **المناظرات:** وهي من وسائل المقارعة المباشرة، وقد تَبَيَّنَ من خلال الكثير من المناقشات مع المدعوين أن المناظرات ذات تأثير قوي في نفس المدعو، ولكنها تحتاج إلى نوعية خاصة من الدعاة.

١٠ – **استخدام الوسائل التعليمية المتقدمة:** للمحافظة على أبناء الأقلية المسلمة في الخارج؛ لكي لا يؤدي الاندماج إلى تمييع العقيدة، أو الانحلال تماماً عنها، كما أنه يؤدي للربط الوجداني بين المتعلم وبين الدولة الإسلامية الراعية، بما يمكن أن يستثمر في خدمة المجتمع المسلم لهذه الدولة.

القسم الثاني: التبليغ بالعمل:

التبليغ بالعمل هو: كل فعل يؤدي إلى إقامة المعروف وإزالة المنكر، ونصرة الحق، وإظهاره. والأصل في ذلك قوله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[1]، والتبليغ بالعمل

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم الحديث (٤٩).

يكون بإقامة المعروف: كبناء المساجد، وبناء الجامعات والمعاهد والمدارس الإسلامية، وإقامة المكتبات فيها وتزويدها بالكتب، وبناء المستشفيات والمصحات ودور الرعاية الاجتماعية، وطبع الكتب الإسلامية وتوزيعها، واختيار الرجل الصالح للعمل في هذه المجالات، وهذا في الحقيقة يعتبر دعوة صامتة إلى الله تعالى[1].

كما أن التبليغ بالعمل يكون بإزالة المنكر كما نَصّ عليه الحديث الشريف.

ما يختص بالدعوة في الخارج من هذه الوسيلة:

يعتبر الأمر بالمعروف وتطبيقه والتعاون على البر والتقوى من بناء مساجد وجامعات ونحو ذلك من الأمور التي يمكن استعمالها في الخارج مع مراعاة أنظمة البلد وأعرافه؛ وللمجتمعات المسلمة وبعض الدول الإسلامية جهود مشكورة في هذا الجانب.

أما النهي عن المنكر في الخارج فيجب مراعاة تطبيقه حتى لا تؤدي إلى ضرر أكبر؛ وذلك لأن قوانين هذه الدول قد تبيح ما هو ممنوع شرعاً في الإسلام، فيكون النهي عن المنكر في هذه الحالات محفوفاً بمخاطر كبيرة، إلا من جهة الإقناع، ومناقشة المدعو فيما يفعل، وبيان أوجه الضرر فيها، ومن جهة أخرى فإن اختلاف الثقافات يتطلب التريث في النهي عن المنكر؛ إذ إن المجتمع الغربي مثلا قد تربى على الحرية الشخصية، وإن كان ذلك مما تأباه الفطر السليمة، وترفضه العقول الصحيحة؛ لذا يجب أن يكون التعامل مع هذه القضية بحكمة شديدة.

القسم الثالث: التبليغ بالسيرة الحسنة:

من وسائل تبليغ الدعوة إلى الله، وجذب الناس إلى الإسلام: التبليغ بالسيرة الطيبة للداعي، وأفعاله الحميدة، وصفاته العالية، وأخلاقه الكريمة، والتزامه

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله، لسعيد القحطاني، ص (١٢٧ – ١٢٨).

بالإسلام ظاهراً وباطناً، مما يجعله قدوةً طيبةً وأُسوةً حسنةً لغيره؛ لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ من التأثير بالكلام وحده.

ما يختص بالدعوة في الخارج من هذه الوسيلة:

تعد هذه الوسيلة من أهم الوسائل التي ثبت نجاحها في دعوة غير المسلمين، ولهذا ربما تقدم هذه الوسيلة خاصة مع غير المسلم على الوسيلة القولية؛ لأن البرهان العملي أكثر تأثيراً في النفس من التنظير القولي، فكأن الداعية يقول: هذا تأثير معتقدي علي، أو أنا المعتقد يسير على الأرض؛ ولهذا لما سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ قالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان قرآنًا)[1]؛ فالداعية في هذه الحالة لا يحتاج أن يقرأ القرآن على المخالف، بل يكفيه أن يسير بين الناس حتى يعلموا ما يقول القرآن.

ثانياً: ضوابط الدعوة بالخارج:

للدعوة – بصفة عامة – ضوابط لابد للداعية من الالتزام بها؛ كالإخلاص، والعلم الشرعي وغيرها، وتزيد الدعوة في الخارج بضوابط أخرى، ومنها:

١ – مراعاة القوانين الخاصة بالبلد التي يقوم الداعية بالعمل فيه: لكل دولة قوانينها الخاصة التي قد تكون متسامحة مع الآخر، وقد لا تكون كذلك، فقبل أن يبدأ الداعية في العمل في بلد ما، ينبغي اطلاعه على القوانين الخاصة المتعلقة بعمل الداعية، ومعرفة ما هو مسموح به، وما هو محظور.

٢ – مراعاة عادات وأعراف الدول: فلكل شعب أعراف قد لا تتعلق بالأوامر

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، رقم الحديث (٧٤٦).

والنواهي، بمعنى أن يسع الداعية احترام هذه العادات، أما إذا كانت هذه العادات تتعارض مع الدين الإسلامي فإنها تكون موضوعاً لدعوته؛ لتصحيح تلك المفاهيم، وبما تقتضيه طرائق التغيير في هذه الأحوال.

٣ – مراعاة ثقافة المدعو: وهو جزء من دراسة المدعو، فقد يكون المدعو عنده حساسية من الحديث في أمور معينة، فيكون من الملائم تأخير الحديث عنها.

٤ – لغة الدعوة: إن مما يؤثر في المدعو تأثير بليغاً اللغة التي يستعملها الداعية، فإذا كان يستعمل اللغة المحلية فلا شك أن تأثيره سيكون كبيراً، لكن ليحذر في هذا الصدد من استعمال اللغة المحلية، وهو لا يجيدها، لاسيما إذا كان في حوار مباشر مع المدعوين، وإلا فيفضل الاستعانة بمترجم مأمون.

٥ – أدبيات الدعوة: يجب على الداعية اجتناب التعبيرات التي لا يستسيغها أهل البلد، فضلا عن اجتناب التعبيرات التي يستهجنها أهل البلد المدعو.

***

جهود المملكة الدعوية بالخارج

للمملكة العربية السعودية جهود لا يمكن أن ينكرها منصف في الدعوة بالخارج، سواء في دعوة غير المسلمين، أو في دعوة المسلمين من الأقليات، ويمكن بيان ذلك فيما يأتي[1]:

أولاً: طَبْعُ وتوزيع الكتب العلمية:

عُرِف عن الدولة السعودية – منذ عهد الإمام محمد بن سعود – الاهتمام بالعلم

(١) ملخصاً من: جهود المملكة في نشر السُّنَّة والسيرة في الخارج، لمساعد بن إبراهيم الحديثي.

الشرعي، فقد حرصت الدولة على اقتناء الكتب، وحفظها، والعناية بها، ونشرها، وتيسير سبل الاطلاع عليها لطلاب العلم، واستمر هذا الاهتمام حتى جاء عهد المؤسس الملك عبد العزيز رحمه الله وكان اهتمامه بنشر السُّنَّة والكتب، وتوزيعها كبيراً، فقد أولى الكتب والمخطوطات الإسلامية النادرة عناية فائقة، وعمل على طباعتها، ونشرها على نفقته الخاصة.

ثانياً: إقامة الدورات العلمية في مختلف أنحاء العالم:

ومن نماذج ذلك ما تقوم به الجامعة الإسلامية بالمدينة من جهود كبيرة في إقامة الدورات التعليمية والتثقيفية؛ إذ بلغ عدد الدورات التي أقامتها الجامعة الإسلامية في الفترة من ١٤٠٣ إلى ١٤١٩هـ: ٣٣٦٩٨ دورة شملت العديد من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية.

ثالثاً: إنشاء كليات ومعاهد تعليمية خارج المملكة خدمة للدعوة الإسلامية:

قامت المملكة بإنشاء عدد كبير من المعاهد والكليات العلمية الشرعية، منها:

- كلية الشريعة واللغة العربية في رأس الخيمة سنة ١٣٩٨هـ.
- معهد العلوم الإسلامية والعربية في جاكرتا سنة ١٤٠٠هـ.
- معهد العلوم الإسلامية والعربية في واشنطن سنة ١٤١٠هـ.
- المعهد الإسلامي في جيبوتي سنة ١٤٠٢هـ.
- المعهد العربي الإسلامي في طوكيو سنة ١٤٠٢هـ.

رابعاً: توفير المِنَح الدراسية لعدد من الطلبة داخل جامعات المملكة:

وقد قامت المملكة بتأسيس جامعة خاصة تعتني بطلاب المنح، وهي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، التي تعمل حتى الآن في خدمة هؤلاء الطلاب، كما وجهت

الدولة الجامعات جميعا إلى القيام بواجب خدمة الدعوة من خلال قبول طلاب المنح في دول العالم الإسلامي والعالم أجمع، ومن نماذج ذلك أن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بدأت ببرنامج المنح الدراسية لأبناء العالم الإسلامي منذ وقت مبكر، وتحديداً في العام الجامعي (٩٦ – ١٣٩٧هـ) بعدد محدود وقدره (٢٨٠) طالباً، واستمر ازدياد أعداد طلاب المنح الدراسية حتى وصل مجموع الأعداد النهائية منذ البداية إلى العام الجامعي ٢٠ – ١٤٢١هـ إلى أكثر من (١٧,٠٠٠) طالب، وهؤلاء الطلاب ينتمون إلى أكثر من (٩٢) دولة عربية وإفريقية وآسيوية وأوربية وأمريكية، درسوا في مراحل التعليم المختلفة التي تقدمها الجامعة، كالمعاهد العلمية، ومعهد اللغة العربية، والمستوى الجامعي، والدراسات العليا.

خامساً: إيفاد العلماء والأئمة والحفاظ إلى الخارج:

تقوم حكومة المملكة العربية السعودية – ممثلة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – بجهود عظيمة في سبيل نشر الدعوة بإيفاد بعض العلماء، وطلاب العلم، والدعاة، وحفظة كتاب الله، إلى الدول الإسلامية وإلى الدول التي يوجد بها جاليات أو أقليات إسلامية؛ وذلك بغرض إرشادهم، ووعظهم، وتبيين ما يخفى عليهم من بعض الأحكام، ونشر السُّنَّة والسيرة النبوية، وكذلك لإمامتهم في الصلاة، وإقامة المحاضرات والدروس الشرعية للمسلمين هناك، ودعم هذه الجهات مادياً ومعنوياً.

سادساً: إنشاء المساجد والمراكز الإسلامية في العالم:

تبذل المملكة جهوداً متميزة في نشر الدعوة من خلال دعم العديد من الهيئات والمنظمات الإسلامية، وإقامة العديد من المراكز الإسلامية والمساجد؛ لما لها من أهمية

كبيرة في نشر السُنَّة والسيرة النبوية في العالم وفي حياة المسلم اليومية، وذلك عن طريق تمويل بناء المساجد، والمراكز الإسلامية، أو الإسهام في تنفيذها، وتخصيص الأوقاف الاستثمارية لها.

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للاستزادة في موضوعات هذه الوحدة، انظر:

١ – الحكمة في الدعوة إلى الله: سعيد القحطاني.

٢ – التخطيط للدعوة الإسلامية – دراسة تأصيلية: عبد المولى طاهر المكي.

٣ – جهود المملكة في نشر السُنَّة والسيرة في الخارج: مساعد الحديثي.

***

الوحدة الثانية عشرة

التطوع ومجالاته

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – بيان مفهوم التطوع وأهميته.

٢ – إدراك مجالات العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية.

٣ – استشعار قيمة العمل التطوعي في الإسلام، وضرورته لتقدم المجتمع.

مفهوم التطوُّع وأهميته

أولاً: تعريف التطوُّع:

التطوُّع هو: التبرُّع بما لا يلزم مما هو مشروع[1].

وعلى هذا، فالتطوُّع خصيصته الكبرى أنه زائد على الفرائض والواجبات، وشرطه: أن يكون بما هو مشروع لما هو مشروع.

ويمكن تعريف العمل التطوعي في المفهوم الاصطلاحي المعاصر بأنه: تقديم المعونة مادياً أو معنوياً لفرد أو أكثر، هم بحاجة إليه، دون مقابل، ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى[2].

ثانياً: منزلة أعمال التطوع وفضلها:

عرض لنا القرآن الكريم كثيراً من صور الأعمال التطوعية في ثنايا ما جاء فيه من القَصَص؛ وهذا يساعد على ترسيخ قيمة التطوع في المجتمع المسلم من خلال الأسلوب القَصَصي الذي تألفه النفس[3]، وعناية القرآن بذلك تدل على شرف الأعمال التطوعية وعلو منزلتها في الإسلام.

ومما جاء في القرآن الكريم من صور التطوع ما قام به نبينا موسى عليه السلام عند قدومه مدين من سقي ماشية الفتاتين، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ

---

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، لعبد الرؤوف المناوي، ص (٩٩)، وانظر: القاموس الفقهي، لسعدي أبو جيب، ص (٢٣٤).

(٢) انظر: العمل التطوعي في السُّنَّة النبوية – دراسة موضوعية، لرندة محمد زينو – الجامعة الإسلامية بغزة، ص (١٤) بتصرف.

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن، للدكتور/ مناع القطان، ص (٣١٨).

ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٣ – ٢٤).

فموسى عليه السلام رقَّ لحال هاتين الفتاتين ورحمهما فسقى لهما غير طالب منهما الأُجْرة، ولم يكن له قصد غير وجه الله تعالى، فلما سقى لهما، وكان ذلك وقت شدة حَرٍّ، ووسط النهار، آوى إلى الظل مستريحاً بعد التعب، ودعا بلسان حاله أن ينزل الله به الخير، ولم يزل في هذه الحالة داعياً ربه حتى رزقه الله بسبب هذا العمل مُعيناً يؤويه وزوجة مباركة هي ابنة رجل صالح تقوم على حِفْظ نفسه وبيته[1]، وهذا يدل على فضل العمل التطوعي وأن الله يفتح به من أبواب الخير ما يشاء.

ومما جاء أيضا في القرآن من صور العمل التطوعي ما قام به ذو القرنين من بناء ردم يأجوج ومأجوج، يقول تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (الكهف: ٩٤ – ٩٥). فقد علم هؤلاء القوم الذين ابتلوا بأذى يأجوج ومأجوج ما لذي القرنين من القوة والاقتدار على كفِّ الشر عنهم، فبذلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض، لكن الملك الصالح ذا القرنين لم يكن ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركاً لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجابهم لم طلبوا ولم يأخذ منهم أُجْرَة، وشَكَر ربَّه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّى

(١) انظر: تفسير: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٤١٦).

﴿فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم، فبنى لهم ما يقيهم من أذى يأجوج ومأجوج[1].

وقد أشار الرسول ﷺ إلى جزاء العمل التطوعي وهو في أخص معانيه أن يكون الإنسان في حاجة أخيه، فقال: (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كُرْبة، فرَّج الله عنه كُرْبة من كُربات يوم القيامة).[2] فقد اشتمل هذا الحديث على باب واسع من أبواب العمل التطوعي؛ حيث دلَّ على فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو وجاهته أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه أيضاً من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته، كما أشار الحديث إلى الجزاء الذي وعد الله به لمن قام بذلك، وهو أنه تعالى سيعين من أعان أخاه، وسيفرِّج عمَّن فرَّج عن أخيه وهذا فضل عظيم كلنا نحتاجه في الدنيا والآخرة[3].

ثالثاً: أهمية العمل التطوعي:

١ – تحقق الترابط والتآلف والتآخي بين المسلمين: ففي العمل التطوعي يبذل المسلم من ماله ووقته ما يعود بالخير على أخيه، تقديرا لحاله وشفقة بما حلَّ به، فتجتمع المشاعر النبيلة مع الأعمال الصالحة؛ وتشيع المعاني السامية، وتظهر روح التآلف والتآخي والترابط، قال ﷺ: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٤٨٦).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم، رقم الحديث (٢٤٤٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم، رقم الحديث (٢٥٨٠).

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، للنووي (١٣٥/١٦).

والحمى)[1].

٢ – **تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي والمواساة والإيثار**: فالعمل التطوعي ميثاق خيري يشد به المسلم عزم أخيه، ويدعمه ويقويه؛ حتى تزول غمته وينفرج كربه، وفي ذلك أسمى معاني التكافل، يقول نبينا محمد ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا، ثم شَبَّكَ بين أصابعه، وكان النبي ﷺ جالساً، إذ جاء رجل يسأل، أو طالب حاجة، أقبل علينا بوجهه، فقال: اشفعوا فلتؤجروا، وليقض الله على لسان نبيه ما شاء)[2].

٣ – **تحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي**: ففي العمل التطوعي من أبواب الخير ما يكون مغيثاً لمؤسسات المجتمع العامة أو الفردية من الإفلاس، أو يكون مساهماً في استكمال خطط البناء والتنمية، فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: (قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله، قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعا أو تصنع لأخرق)[3]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في معنى ألفاظ الحديث: «(تعين صانعا، أو تصنع لأخرق) يعني: تصنع لإنسان معروفاً، أو تعين أخرق، ما يعرف،

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، رقم (٦٠١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم (٤٨١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٥).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري: كتاب العتق، باب: أي الرقاب أفضل، رقم (٢٥١٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان كون الإيمان أفضل الأعمال، رقم (٨٤) واللفظ له.

فتساعده وتعينه، فهذا – أيضاً – صدقة، ومن الأعمال الصالحة»[1]، وفي الحديث إشارة إلى أن إعانة الصانع[2] مهمة كإعانة غير الصانع إن لم تكن أولى وأهم في بعض الحالات؛ لأن غير الصانع مظنة الإعانة، فكل أحد يعينه غالباً، بخلاف الصانع؛ فإنه لشهرته بصنعته يغفل عن إعانته، فهي من جنس الصدقة على المستور[3].

٤ – **استثمار أوقات الفراغ**: فالعمل التطوعي خير ما ينفق فيه وقت الفراغ؛ شكراً لله على نعمته، قال ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)[4]، إذ يجب على المسلم أن يتخير لنفسه من أبواب المباحات ما يملأ به وقت فراغه، وخير المباحات ما كان نفعه متعد من الفاعل إلى غيره لا سميا إذا اقترنت به نية الخير فالأعمال بالنيات[5].

***

مجالات العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية

نصَّ قرار مجلس الوزراء بالمملكة رقم (١٧٥)، ١٤٢٣/٧/٩هـ، الذي اشتمل على قواعِد ترشيح رواد العمل التطوعي واختيارهم، وتكريمهم؛ على المجالات التي رأى المُنَظِّم السعودي أنها أهم المجالات التطوعية في البلاد، وأكد القرار أن ما ذُكِر

(١) شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين (١٥٤/٢).

(٢) أي الصانع المحتاج، والذي يكون أشد حاجة من غير الصانع.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (١٥٠/٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم (٦٤١٢).

(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٤٧/١٠) بتصرف.

من المجالات إنما هو على سبيل التغليب لا الحصر.

وقد قسَّم القرار المشار إليه مجالات العمل التطوعي إلى سبعة مجالات:

١ – خدمة المجتمع والتكافل الاجتماعي:

تُعَرَّف الخدمة الاجتماعية بأنها: سعي المرء في حاجات الآخرين. ويعد من الخدمات والأنشطة التي لا تنتج سلعا مادية، ولكنها تلبي حاجات الأفراد المادية والمعنوية[(١)]، **فهي**: «الجهود التي يقوم بها الأفراد أو الجماعات أو المنظمات؛ لتحسين الأوضاع الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو السياسية»[(٢)].

أما **التكافل الاجتماعي** فيقصد به: أن يكون آحاد المجتمع في كفالة جماعتهم، ويكون كل قادر كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير[(٣)].

٢ – بناء المساجد، وتحفيظ القرآن الكريم:

يعد هذا المجال من المجالات المهمة؛ إذ إنه يتيح للأفراد والمؤسسات الخاصة فرصة المشاركة في بناء بيوت الله تعالى التي لا تعد بيوتاً للعبادة فقط؛ وإنما يمتد أثرها إلى كافة مناحي الحياة، كما إن القيام بتحفيظ القرآن الكريم، سواء للصغار بتنشئة جيل من القراء، أو استدراك ما فات الكبير من القيام بهذه العبادة، يعد من الأعمال الصالحة، فضلاً عما يعود على المجتمع نتيجة انتشار المساجد، وكثرة حُفَّاظ القرآن الكريم، وقد

---

(١) دور العمد في خدمة المجتمع المحلي، لسعيد بن عبد الله بن علي – رسالة ماجستير – المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض/ المعهد العالي للعلوم الأمنية ١٤١٤هـ، ص (٢٤) عن: معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية والعلوم المتصلة بها: جامعة الدول العربية ص (١٣٨).

(٢) تصور مقترح لتطوير دور الجامعة في خدمة المجتمع في ضوء الاتجاهات العالمية الحديثة، لطارق عبد الرؤوف محمد عامر، ص (٧).

(٣) التكافل الاجتماعي في الإسلام، لمحمد أبو زهرة، ص (٧).

ورد الترغيب في بناء المساجد في عدد من الأحاديث، منها ما ورد عن عثمان بن عفان ﷺ أنه كان يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ: إنكم أكثرتم، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: (من بنى مسجداً بنى الله له مثله في الجنة)[1].

٣ – رعاية المعوقين وتأهيلهم، وكفالة الأيتام ومن في حكمهم:

المُعَوَّق والمعاق اسم مفعول، من به عائق حَبَس حركته، فأقعده، ومنعه عن القيام بحاجاته استقلالاً، وألجأه إلى عون غيره[2].

وعلى هذا يمكن **تعريف المُعَوَّق** بأنه: الشخص الذي استقر به عائق، أو أكثر، يوهن قدرته، ويجعله في حاجة إلى عون خارجي، أو: هو من فقد قدرته على مزاولة عمله، أو القيام بعمل آخر، نتيجة لقصور بدني أو جسمي أو عقلي، سواء أكان هذا القصور نتيجة حادث أو مرض أو عجز وِلادي.

وقد استعمل الفقهاء لفظ «الزَّمْنَى» للتعبير عن المعاقين، وهم في عُرْف هذا اللفظ ذوي الأمراض المزمنة، والعاهات المستديمة، فقولهم: رجل زَمِن، أي: بَيِّن الزَّمانة، وهي: العاهة، والجمع: زَمْنَى، على وزن فَعْلَى[3].

ويمكن تقسيم الرعاية الخاصة بالمعاقين إلى رعاية مادية، وإلى رعاية معنوية ونفسية.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب: من بنى مسجدا، رقم (٤٥٠)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل بناء المساجد والحث عليها، رقم (٥٣٣).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة «عوق»، وانظر: تفسير: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/١٥١).

(٣) انظر: حقوق المعوقين ورعايتهم في الشريعة الإسلامية، لموسى البسيط، ص (٣ – ٤).

وإذا كان العوز وعدم القدرة هو المعنى الظاهر في المعاقين، فإن المعنى ذاته موجود في الأيتام الصغار وكبار السن ونحوهم، ومن ثم كان لابد أن تشملهم الرعاية التطوعية.

ومن صور هذه الرعاية ما يأتي:

أ – إنشاء الدور المتخصصة في رعاية المعاقين والأيتام والمسنين: ويكون ذلك بانتقاء المختصين بعناية شديدة، الذين يتميزون بالرحمة، ويعدون عملهم رسالة، لاسيما أن في ترك أمر الرعاية للدور التي تسعى للربح المادي آثار سلبية يعاني منها المعاق أو اليتيم أو المُسِن ولا يستطيع التعبير عن معاناته نظراً لضعفه وعوزه.

وتتميز هذه الصورة بأنها قد تكون أكثر تنظيماً من الرعاية الفردية، فضلاً على أنها توفر الرعاية بمفهومها الشامل؛ لأنها توفر الرعاية الاجتماعية والصحية، وتوفر للأيتام خاصة الرعاية التعليمية وغيرها.

ب – الرعاية الفردية للمعاقين والأيتام: قد لا يملك من يريد الرعاية أن يقيم داراً متكاملة لرعاية الأيتام، وفي هذه الحالة قد تكون الرعاية الفردية هي الأجدى وإن كانت أقل تنظيماً من الطريقة الأولى؛ لأن فائدتها تكون واضحة في تجميع النفقات الصغيرة، وعدم التعقيد في إجراءاتها، فضلاً عن استثمارها للفائض من أوقات المتطوعين ومجهوداتهم بعد أداء أعمالهم اليومية، وكذلك هي مفيدة في نمط الرعاية بغير إنفاق، فبعض أنماط الرعاية لا يمكن تقديمها من الأفراد في الطريقة المتخصصة السابقة، بالإضافة إلى أن بعض من يحتاجون إلى مزيد رعاية لا يمكنهم الالتحاق بأحد دور الرعاية، وذلك لوجود الأهل، كوجود أم الأيتام التي لا تفرط في أولادها، أو وجود أولاد المُسِن الذي لا يسمحون بأن يلتحق والدهم بدار مُسِنّين، مع احتياجه

واحتياجهم لمزيد رعاية من أفراد المجتمع.

٥ – التبرعات المادية والعينية في مجالات البِّر والخير:

قد يكون المتطوع لا يملك من الوقت ما يمكنه من القيام بالأعباء التطوعية المرادة، ومع ذلك يملك من الفوائض المالية والعينية ما يمكنه من إعانة أفراد المجتمع، سواء على المستوى المؤسسي، وذلك بالتبرع للمؤسسات الخيرية العاملة في مجال خدمة المجتمع، أو بصفة فردية، بقيامه بالتبرع المادي للمحتاجين مباشرة.

٦ – رعاية الفئات المحتاجة، وتأهيلها للعمل:

وتعني هذه الصورة العمل على إيجاد نوع من الشراكة في حل مشكلات بعض الفئات التي لا تجد عملا، أو تعمل بما لا يكفي حاجتها، فبدلا من الإنفاق الدائم عليها؛ تشكل هذه الصورة محاولة الإنفاق لفترة محددة من أجل تأهيلها للقيام بالأعباء دون انتظار الصدقات، وتتميز هذه الصورة بما يأتي:

أ – توفير الموارد المتاحة للعمل التطوعي، وتوزيعها بين أكبر عدد ممكن، وذلك بتأهيل بعض الفئات للاستغناء عن الصدقات، وبالتالي توجه إلى فئة أو جهة أخرى، مما يؤدي إلى استخدام أمثل لهذه الموارد المتاحة.

ب – نقل الأفراد من فئة المحتاجين إلى فئة المكتفين، مما يرفع معنوياتهم، ومكانتهم في المجتمع، ويعالج مشكلة استعفاف الكثير، وعدم سؤالهم مع شدة حاجتهم وفاقتهم.

ج – زيادة الناتج الإجمالي في المجتمع بتحويل الفئات الآخذة، إلى جهات مكتفية أو معطية، فضلاً عمّا ستنتجه هذه الفئة من سلع وخدمات، تفيد المجتمع كله.

د – الحَدُّ من مشكلة البطالة لدى فئة لم تكن تعمل. وقد استخدم العمل

التطوعي حلاً لمشكلة البطالة في العصر النبوي[1]، فعن أبي هريرة ﷺ قال: (قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفونا المؤونة، ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا)[2]، فعمل المهاجرون في أرض الأنصار بشرط الاشتراك في الثمرة، فنجد أن الرسول ﷺ لم يرض للمهاجرين بأن يقتسموا مع الأنصار الثمرة بلا عمل، بالرغم من تطوع الأنصار وطيب أنفسهم بذلك، لأن ذلك سيؤدي إلى وجود طائفة كبيرة من المجتمع بلا عمل أو إنتاج، ينتظرون أن تجود عليهم الطائفة الأخرى، وهو إن كان مقبولا على المستوى الفردي في حالات يسيرة؛ إلا أن ضرره كبير إذا تحول إلى ظاهرة، أو أن تكون طائفة معطلة عن العمل الإنتاجي بسبب انتظار الصدقات والتبرعات من غيرهم.

٧ – المساهمة في تشييد المنشآت الصحية والتعليمية والمرافق العامة أو تجهيزها:

يتفق الاقتصاديون على أن الدول مهما بلغت إمكاناتها، فإن حجم الطموحات والمأمول منها أكبر من الإمكانات المتاحة للحكومات؛ ولهذا فإن كل الحكومات في العصر الحديث تعاني من إشكالية عجز الموارد عن الوفاء بالطموحات، وقد حددت هذه الصورة المجالات الأكثر حاجة في المجتمع إلى تضافر الجهود من أجل توفير منشآتها، وهي الصحة والتعليم والمرافق العامة، ونَصَّ القرار المشار إليه إلى أن صورة المساهمة في هذه المجالات تكون بالإنشاء، أو المساهمة في هذا الإنشاء، أو التجهيز

---

(١) انظر: العمل التطوعي في السُّنَّة النبوية، دراسة موضوعية، لرندة محمد زينو – الجامعة الإسلامية بغزة، ص (١٣٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب المزارعة، باب: إذا قال: اكفني مؤونة النخل وغيره، وتشركني في الثمر، رقم (٢٣٢٥).

للمعدات، أو المساهمة في تجهيز المعدات لمنشآت موجودة بالفعل، مما سيوفر في الميزانية العامة للدولة، ويجعلها تقوم بتوجيه هذا الفائض لمجال مجتمعي آخر، وبالتالي يتم اختصار الوقت الذي تحتاجه الدولة في توفير الخدمات لرعاياها.

ويلاحظ أن القرار المذكور نص على المساهمة في الإنشاء أو التجهيز، وليس الإدارة أو التشغيل، وذلك لضرورة أن تقوم السلطة بمهمة المرافق العامة؛ من أجل ضمان جودة سيرها، وتوزيع خدماتها العادلة بين جميع المواطنين وفق ما هو معمول به من أنظمة ولوائح.

ويذكر هنا ما فعله عثمان بن عفان ﷺ من شرائه لبئر رومة من يهودي بعشرين ألف درهم، وتسبيله لها للمسلمين، نظرا لحاجتهم إلى هذا البئر، وتحكُّم هذا اليهودي في حاجة المسلمين للماء منه، فقد قدم عثمان ﷺ بهذا أُنموذجاً للعمل التطوعي العام المتعلق بمرفق من أهم مرافق المجتمع، وهو مرفق مياه الشرب.

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للاستزادة في موضوعات هذه الوحدة، انظر:

١ – العمل التطوعي في السُّنَّة النبوية – دراسة موضوعية: رندة محمد زينو.

٢ – فقه الفقراء والمساكين في الكتاب والسُّنَّة: عبد السلام الخرشي.

٣ – حقوق المعوقين ورعايتهم في الشريعة الإسلامية: موسى البسيط.

***

الخاتمة

تناول مقرر «قضايا معاصرة» مجموعة من القضايا الحيوية والمهمة سواء كانت من النوازل الثقافية والفقهية الجديدة أو من القضايا السابقة ولكنها تجددت لاعتبارات متعلقة بسرعة التطور الذي نعيشه في عصرنا الحاضر وعوامل التكيف معه، ومن أبرز النتائج التي تم التوصل إليها من خلال دراسة هذا المقرر؛ ما يأتي:

- تتميز مرحلة الشباب بخصائص جوهرية تميزها عن غيرها من أبرزها؛ استواء القوة الجسدية، وتنوع الانفعالات النفسية، وشدة الرغبة الجنسية، ونمو الطاقة الفكرية، ولذا كان من الواجب العناية بهذه المرحلة وتوجيه هذه الطاقة إيجابياً، ومكافحة الوسائل التي تؤدي إلى هدرها أو سوء توظيفها.

- معرفة أسباب المشكلات عند الشباب والتمحيص فيها جزء كبير من الحل لهذه المشكلات، ولعل من أبرز الأسباب: الفراغ، والرُّفقة السيئة، وضعف الوازع الديني، والتعصب لمذهب أو لرأي، وعدم إتباع منهج الإسلام في الاستيثاق من الأخبار والادعاءات.

- يعتبر انتشار التدخين وتعاطي المخدرات من أبرز المشاكل التي يعاني منها جيل الشباب المعاصر.

- حُبُّ الوطن والانتماء إليه والقيام بحقوقه مطلوب شرعاً خاصة إذا كانت السلطة في الوطن مُحَكِّمَة لشرع الله جل وعلا، والمجتمع فيه ملتزمون بأحكام الدين الإسلامي الحنيف.

- تعتبر العمليات الانتحارية وقتل المعصومين من أعظم الذنوب والمعاصي كما قرره العلماء الراسخون في العلم.

- يستخدم المتطرفون والمُغَرَّر بهم مجموعة من الشبهات والمغالطات لتجويز الخروج على ولاة الأمر وتصحيح ما يتبنونه من سفك الدماء ومحاربة الأبرياء، دون تعقل ومراجعة لما تبنوه وفرض عليهم من الجهات المشبوهة بالخارج، ولو سألوا أهل العلم والراسخين فيه لزال عنهم هذا الغبش وتجلت لهم كثير من الشبهات.

- يقصد بالعولمة الثقافية: عملية يُقْصَد منها حمل المجتمعات على الالتزام بالنموذج الثقافي الغربي والتخلي الطوعي عن الهوية الثقافية، ومن أبرز وسائل مقاومتها، التأكيد على الهُوية الإسلامية المقاومة، والمدافعة لها بالطرائق الملائمة.

- الإلحاد المعاصر هو: مذهب فكري فلسفي مضطرب، يتخذ من إنكار العقائد الغيبية والطعن في القطعيات الشرعية غايته لإنكار وجود الخالق تبارك وتعالى أو التشكيك فيه، وعلى هذا فإن الإلحاد مضاد للفطرة الإنسانية السوية التي فطرت على معرفة ربوبية الخالق جل وعلا، والرد العملي على هذه الموجات الضالة قوة التمسك بالدين الإسلامي عقيدة وشريعة.

- للفتوى في دين الله شروط وآداب يجب مراعاتها والأخذ بها عند المفتي والمستفتي، ولذا قال أحد التابعين: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم).

- العناية بالأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية مسؤولية مشتركة بين جميع الدول والمجتمعات الإسلامية ونصرتهم واجبة إذا تمت شروطها وانتفت موانعها.

- وسائل تبليغ الدعوة الإسلامية متعددة وهي غير محصورة بطريقة أو مجال

معين، فكم من وسيلة ظهرت قام العلماء والدعاة باستخدامها وكان لها الأثر الواضح في تبليغ دين الله ونشره في أصقاع المعمورة.

- لأعمال التطوع أهمية عظمى في حياة الفرد والمجتمع، وفضله في الإسلام كبير إذا المتطوع مخلصاً وملتزماً بما عليه قواعد التبرع وأحكامه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

***

قائمة المراجع

(١) الآثار الاجتماعية لمتعاطي المخدرات، رشاد عبد اللطيف، المعهد العالي للدراسات الأمنية، بالرياض، وزارة الداخلية السعودية.

(٢) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، الناشر: مطبعة السُّنَّة المحمدية.

(٣) الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة.

(٤) الأحكام السياسية للأقليات المسلمة في الفقه الإسلامي، د. سليمان محمد توبو لياك، الناشر: مكتبة دار النفائس للنشر والتوزيع.

(٥) أدب الطلب ومنتهى الأدب، محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: عبدالله يحيى السريحي، الناشر: دار ابن حزم – لبنان، بيروت.

(٦) الإدمان – أسبابه ومظاهر الوقاية والعلاج: د. عبد المجيد سيد أحمد منصور – وزارة الداخلية – مركز أبحاث مكافحة الجريمة – الكتاب الخامس ١٤٠٦هـ.

(٧) الإسلام الفاتح، د. حسين مؤنس.، بدون ناشر، ١٩٨١م.

(٨) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٩) الأضرار الصحية للمخدرات، د. محمد علي البار، الطبعة الأولى.

(١٠) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(١١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(١٢) الأقليات المسلمة في آسيا واستراليا، لسيد عبد المجيد بكر، الناشر: رابطة العالم الإسلامي.

(١٣) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

(١٤) أوضح التفاسير، محمد بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ — فبراير ١٩٦٤م.

(١٥) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٦) البداية والنهاية، لابن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

(١٧) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، د. أحمد محمود الساداتي، الناشر: مكتبة القاهرة.

(١٨) تجديد الفكر الديني في الإسلام، لمحمد إقبال، ترجمة: عباس محمود العقاد،

(١٩) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: محمد عبد الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.

(٢٠) التدرج في دعوة النبي ﷺ، د. إبراهيم بن عبد الله المطلق، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد — مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢١) تصور مقترح لتطوير دور الجامعة في خدمة المجتمع في ضوء الاتجاهات العالمية الحديثة، لطارق عبد الرؤوف محمد عامر، مجلة البحث الإجرائي في التربية وعلم النفس، اتحاد الجامعات العربية، مج١، ع ٤، يناير ٢٠٠٨م.

(٢٢) تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: د. عبدالعزيز بن عبد الله الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م.

(٢٣) التعامل مع المراهقين من خلال خصائص النمو، عبد اللطيف بن يوسف المقرن (بدون ناشر)، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

(٢٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م.

(٢٥) التفكك الأسري دعوة للمراجعة، شادية التل، وشافي الهاجري وآخرون، بدون ناشر، ٢٠٠١م.

(٢٦) التكافل الاجتماعي في الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، ١٩٩١م.

(٢٧) تنظيم الفتوى، أحكامه، آلياته، د. محمد الزحيلي، بحث منشور ضمن مطبوعات مؤتمر «الفتوى وضوابطه» ١٤٣٠هـ.

(٢٨) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

(٢٩) التوجيه والإرشاد النفسي، الدكتور حامد عبد السلام زهران، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثالثة.

(٣٠) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م.

(٣١) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠ م.

(٣٢) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى، دار لإحياء التراث العربي، بيروت.

(٣٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية — القاهرة.

(٣٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٣٥) جريدة الأهرام، العدد رقم (٦٧٨٥) الصادر في ١٦/٧/١٩٠٠م.

(٣٦) جهود المملكة في نشر السُّنَّة والسيرة في الخارج، لمساعد بن إبراهيم الحديثي، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – الطبعة الأولى – سنة الطبع ١٤٢٥هـ.

(٣٧) الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق.

(٣٨) حقوق المعوقين ورعايتهم في الشريعة الإسلامية، لموسى البسيط، بدون ناشر، ٢٠٠١م.

(٣٩) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسُّنَّة، محمد بن خليفة التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٤٠) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد القحطاني، رسالة ماجستير، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

(٤١) دراسة نظرية في كتابات المستشرقين والمستغربين في القرن الرابع عشر الهجري، لإبراهيم السماري – رسالة ماجستير – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ كلية الدعوة والإعلام ١٤١٦هـ.

(٤٢) دور العمد في خدمة المجتمع المحلي، لسعيد بن عبد الله بن علي – رسالة ماجستير – المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض/ المعهد العالي للعلوم الأمنية ١٤١٤هـ.

(٤٣) رسالة المسلم في حقبة العولمة، ناصر بن سليمان العمر، الناشر: مركز الدراسات الإسلامية بقطر، ١٤٢٤هـ.

(٤٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٤٥) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٤٦) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

(٤٧) السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(٤٨) السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٤٩) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى.

(٥٠) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، تحقيق: طه عبدالرءوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(٥١) شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبدالرحمن بن صالح السديس الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(٥٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ – ١٤٢٨هـ.

(٥٣) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر، الطبعة: الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

(٥٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

(٥٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن بن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٥٦) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٥٧) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار المغني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٥٨) صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، لصامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، الناشر: سطور الجديدة، ١٩٩٨م.

(٥٩) صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٦٠) صلاحية التشريع الإسلامي للبشر كافة، د. عبد الله بن محمد العجلان، مجلة البحوث الإسلامية.

(٦١) العالم الإسلامي المعاصر، د. جمال حمدان، الناشر: عالم الكتب بالقاهرة.

(٦٢) العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٦٣) العمل التطوعي في السُنَّة النبوية – دراسة موضوعية، لرندة محمد زينو – الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٧م.

(٦٤) العولمة الثقافية وأثرها على الهوية، لخالد بن عبد الله القاسم، بحث مقبول للنشر في جامعة بنها، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٦هـ.

(٦٥) العولمة الثقافية، رؤية تربوية إسلامية، لوليد أحمد مساعدة، عماد عبد الله الشريفين — مجلة الجامعة الإسلامية، مج (١٨)، ع (١)، يناير ٢٠١٠م.

(٦٦) العولمة حلقة في تطور آليات السيطرة، لخالد أبو الفتوح، مجلة البيان، العدد (١٣٦).

(٦٧) الغلو أسبابه وعلاجه، د. محمد بن سرار، نسخة خطيه للمؤلف.

(٦٨) فتاوى اللجنة الدائمة — للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء — الإدارة العامة للطبع — الرياض.

(٦٩) فتاوى نور على الدرب، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر.

(٧٠) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مح (المتوفى: ١٣٨٩هـ)، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.

(٧١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة — بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٧٢) الفتوى وأثرها في حماية المعتقد وتحقيق الوسطية، د. فهد الجهني، بحث منشور ضمن مطبوعات مؤتمر «الفتوى وضوابطه» ١٤٣٠هـ.

(٧٣) الفروع لابن مفلح، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م.

(٧٤) الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، أبو العباس شهاب الدين أحمد القرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، الناشر: عالم الكتب.

(٧٥) فقه الأشربة وحدُّها، عبد السلام طويلة، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.

(٧٦) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد القحطاني، رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

(٧٧) الكاشف عن حقائق السنن، والمشتهر بشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة — الرياض).

(٧٨) الكبائر، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة — بيروت.

(٧٩) كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت —لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م.

(٨٠) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٨١) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

(٨٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن — الرياض.

(٨٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي(المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش — محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت.

(٨٤) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م.

(٨٥) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

(٨٦) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، الناشر: دار القلم، بيروت — لبنان.

(٨٧) مباحث في علوم القرآن، د. مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠م.

(٨٨) مجلة المنار: السنة الثانية، العدد (٣٣)، جمادى الآخرة ١٣١٧هـ/ أكتوبر ١٨٩٩م — أمالي دينية، الدرس الخامس.

(٨٩) مجموع الفتاوى، تقي الدين ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٩٠) المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

(٩١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على جمعه، وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(٩٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن — دار الثريا، الطبعة: الأخيرة — ١٤١٣هـ.

(٩٣) المخدرات — الأسباب — الصكوك — البشر: د. محمد فتحي عيد — وزارة الداخلية مركز أبحاث مكافحة الجريمة — مطابع الشريف ١٤١١هـ.

(٩٤) المخدرات حقائق وأرقام، تأليف دورثي دوسيك ودانييل جيردانو — ترجمة عمر شاهين — وخضر نصار — الطبعة الرابعة — مركز الكتاب الأردني.

(٩٥) المخدرات والعقاقير المخدرة: وزارة الداخلية مركز أبحاث مكافحة الجريمة — الكتاب الرابع — مكتبة الطالب الجامعي — مكة — ١٤٠٥هـ.

(٩٦) المخدرات وعقوباتها في الفقه الإسلامي والنظام السعودي، أ.د. عبد الله إبراهيم الناصر، رسالة ماجستير بجامعة الإمام، ١٤١٤هـ.

(٩٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ — ١٩٩٦م.

(٩٨) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ).

(٩٩) المسلمون في أوروبا وأمريكا، علي بن المنتصر الكتاني، الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

(١٠٠) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

(١٠١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية — بيروت.

(١٠٢) معجم المصطلحات السياسية والدولية، د. أحمد زكي بدوي، الناشر: دار الكتاب اللبناني للطباعة، ١٩٨٩م.

(١٠٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

(١٠٤) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي — حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

(١٠٥) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م.

(١٠٦) معلمة القواعد الفقهية والأصولية، الدكتور: أحمد الريسوني وآخرون. الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية.

(١٠٧) المغني لابن قدامة، ابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م.

(١٠٨) المفتي في الشريعة الإسلامية للدكتور عبدالعزيز الربيعة، بحث منشور بمجلة البحوث الإسلامية.

(١٠٩) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، تحقيق: محي الدين ديب وآخرون، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولي، ١٤١٧هـ.

(١١٠) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م.

(١١١) المملكة العربية السعودية وخدمتها للإسلام والمسلمين في الغرب، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. بدون ناشر.

(١١٢) منهاج السُنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م.

(١١٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(١١٤) الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(١١٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي؛ بإشراف د. مانع الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

(١١٦) موقف الدعوة الإسلامية من التقدم المادي، لشوقي جبر مصلح الكيلاني – رسالة ماجستير – المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ.

(١١٧) ميثاق شرف للعمل في مجال الفتوى في المواقع الإسلامية، د. عبد الفتاح محمود إدريس، منشور بموقع الملتقى الفقهي، بتاريخ: ٦/ ٨/ ١٤٣٣هـ.

(١١٨) الناظم الأساسي للحكم.

(١١٩) نظرية الثقافة: مجموعة من الكتاب، ترجمة: علي سيد الصاوي، الناشر: عالم المعرفة ١٩٩٧م.

(١٢٠) النكت الوفية بما في شرح الألفية، برهان الدين البقاعي، المحقق: ماهر ياسين الفحل، الناشر: مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

(١٢١) نهاية التاريخ وخاتم البشر، فرانسيس فوكوياما، ترجمة: حسين الشيخ، الناشر: مركز الاهرام للترجمة والنشر الطبعة: الاولى ١٩٩٣م.

(١٢٢) نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني(المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

(١٢٣) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

(١٢٤) وأنواع الحقوق التي تحميها العقوبات الشرعية والآثار المترتبة عليها، للدكتور: علي الحسون، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية.

(١٢٥) وهم الإلحاد، عمر شريف، الناشر: مجلة الأزهر، ١٤٣٥هـ.

***

المحتويات

المحتوى	الصفحة
❁ المقدمة	٣
❁ القسم الأول: قضايا معاصرة متعلقة بالشباب	٥-٤٢
• الوحدة الأولى: مرحلة الشباب ووسائل حفظها وتوجيهها	٧
• الوحدة الثانية: أسباب مشكلات الشباب، ووسائل معالجتها	٢١
• الوحدة الثالثة: دراسة لأبرز مشاكل الشباب (التدخين، والمخدرات)	٣٣
❁ القسم الثاني: قضايا معاصرة متعلقة بالأمن	٤٣-٧٩
• الوحدة الرابعة: حقوق الوطن السعودي في ضوء الشريعة الإسلامية	٤٥
• الوحدة الخامسة: حُرْمَة الخروج على الحاكم وقتل الآمنين	٥٧
• الوحدة السادسة: مناقشة لأبرز الشبهات في الفكر المتطرف	٦٩
❁ القسم الثالث: قضايا معاصرة متعلقة بالثقافة	٨١-١١٩
• الوحدة السابعة: العولمة الثقافية وموقف المسلمين منها	٨٣
• الوحدة الثامنة: الإلحاد المعاصر، ووسائل مواجهته	٩٧
• الوحدة التاسعة: أحكام الفتوى والاستفتاء وآدابهما وتطبيقاتهما المعاصرة	١٠٩
❁ القسم الرابع: قضايا معاصرة متعلقة بالدعوة والتطوع	١٢١-١٥٨
• الوحدة العاشرة: الأقليات الإسلامية، وواجبات الدول والمجتمعات الإسلامية نحوها	١٢٣
• الوحدة الحادية عشرة: وسائل الدعوة في الخارج، وجهود المملكة فيها	١٣٥
• الوحدة الثانية عشرة: التطوع، ومجالاته في المملكة	١٤٧
❁ الخاتمة	١٥٩
❁ قائمة المراجع	١٦٣
❁ المحتويات	١٧٥